تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة
في تفسير غريب القرآن
جمعاً ودراسة

د. عليوي بن عبد الله الشمراني

د. عليوي بن عبدالله الشمراني

- عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية والآداب – جامعة تبوك.
- حصل على درجة الماجستير من قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود ، بأطروحتة:(منهج ملا علي القاري في تفسيره أنوار القرآن وأسرار الفرقان).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة الملك سعود – بأطروحتة: (قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب في تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير) .

ملخص البحث

(تعقبات ابنِ قتيبة على أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن) .

اسم الباحث:

د. عليوي بن عبدالله الشمراني – جامعة تبوك – كلية التربية والآداب – قسم الدراسات الإسلامية .

الملخص:

عرض الباحث إلى ترجمة مختصرة لأبي عُبيدة، وأشار إلى أشهر شيوخه وتلاميذه، وبعض أقوال العلماء فيه . وذكر أبرز مؤلفاته .ثم عرّف بكتابه مجاز القرآن .

أعقب ذلك بترجمة لابن قتيبة، وأشار إلى شيوخه وتلاميذه ، وثناء العلماء عليه، ثم عرّف بكتابه تفسير غريب القرآن .

قصد الباحث إلى صلب موضوع البحث، فذكر المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة ، فوجد أن ابن قتيبة تعقب أبا عبيدة في تسعة مواضع .

قام الباحث بدراسة تلك المواضع التسعة، وقارنها بأقوال المفسرين، وذكر أشهر أدلتهم، ومن ثم رجح بين تلك الأقوال .

بعد الدراسة والمقارنة وجد الباحث أن الصواب كان مع ابن قتيبة في سبعة مواضع من تلك المواضع التسعة .

تبين أن ابن قتيبة وإن بنى كتابه على الاختصار إلا أن ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى كلام أبي عبيدة، ومن ثم نقده والرد عليه بالأدلة دون إسهاب .

جاءت خاتمة البحث بذكر النتائج التي ظهرت أثناء الدراسة .

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد ...

فإن لسان العرب أوسع الألسنة، والقرآن نزل بلسانها، وجاء وفق بيانها، فمن رام معرفة تفسيره، وتطلّع لفهم معانيه وأحكامه، كان لزاماً عليه أن يعرف لغة العرب، ويتضلع بطرائقها في كلامها، وسننها في خطابها.

وقد صنف أئمة الإسلام مصنفات تعددت فنونها، وتنوعت أفنانها، واتحدت في غايتها ؛ لبيان معاني القرآن وفهم أحكامه .

ومن أولئك الأعلام من صنّف في غريب القرآن وبيان معانيه، كالإمام ابن قتيبة في كتابه الموسوم بـ" تفسير غريب القرآن "، وقد حوى ذاك الكتاب فوائد وفرائد بثها ابن قتيبة في ثنايا هذا الكتاب، فـ: "كل الصيد في جوف الفَرَا" .

وقد أفاد ابن قتيبة من كتاب أبي عبيدة ذائع الصيت المعروف بـ" مجاز القرآن " ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل، بل كان ناقداً في مواطن عدة، فنجده يتعقب أبا عبيدة في اختياره، ويرد عليه قوله .

ولما كان الأمر على ما وصفتُ لك، والشأن ما ذكرتُ لك، فقد جمعتُ تلك التعقبات في هذا البحث، وسميته:

(تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة في تفسير غريب القرآن) جمعاً ودراسة

وإليك ثلاثة أمور في هذه المقدمة:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١ – منزلة هذين الكتابين إذْ هما من أوائل المصنفات في غريب القرآن .

٢ – محاولة الكشف عن منهج ابن قتيبة في تعقباته لأبي عبيدة .

٣– معرفة منزلة تلك التعقبات التي أشار إليها ابن قتيبة .

٤ – الوقوف على بعض قواعد الترجيح التي أومأ إليها ابن قتيبة واعتمد عليها في نقده .

ثانياً: خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس .

فالمقدمة: ما تطالعه الآن .

المبحث الأول

ترجمة لأبي عبيدة، وابن قتيبة، وتعريف بكتابيهما

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة لأبي عبيدة .

المطلب الثاني: تعريف بكتاب أبي عبيدة: " مجاز القرآن " .

المطلب الثالث: ترجمة لابن قتيبة .

المطلب الرابع: تعريف بكتاب ابن قتيبة: " تفسير غريب القرآن " .

المبحث الثاني

تعقبات ابنِ قتيبة على أبي عبيدة

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الضِّعْفين .

المطلب الثاني: معنى فارغاً.

المطلب الثالث: معنى مسحوراً.

المطلب الرابع: معنى لواقح .

المطلب الخامس: دلالة ردّ الأيدي إلى الأفواه.

المطلب السادس : معنى يأتمرون .

المطلب السابع: معنى الصُّوْر .

المطلب الثامن: معنى السَّكَر .

المطلب التاسع: معنى المقوين .

الخاتمة .

الفهارس .

ثالثاً: منهج البحث:

١ - قمت بقراءة كتاب ابن قتيبة، واستخلصت تلك المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة .

٢ - قراءة كتاب أبي عبيدة، واستحضرت مواضع النقد التي وجهها إليه ابن قتيبة .

٣- اقتصر البحث على المواضع التي صرح فيها ابن قتيبة بتعقبه لأبي عبيدة، فأذكر عنواناً يدل على المسألة موضع الدراسة، وأشير إلى القاعدة التي اعتمد عليها ابن قتيبة في ترجيحه وتعقبه مقتبساً تلك القاعدة من كلامه، وأورد كلام ابن قتيبة، ثم أذكر أشهر أقوال المفسرين، وأجتهد في ذكر أدلة الأقوال، وأختم ذلك بالترجيح والنتيجة التي ظهرت من خلال الدراسة

والموازنة .

٤ – لم أنقل من كلام المفسرين إلا ما دعت إليه الضرورة ؛ لئلا أثقل البحث بتلك النقول – حاشا أبا عبيدة فأذكر كلامه ؛ ليتضح مراده، ويظهر اختياره– .

٥ – عزوت الآيات القرآنية، وخرّجت الأحاديث النبوية، وأومأت إلى درجتها، و عزوت الشواهد الشعرية، وشرحت غريبها إن لم يرد بيانه في كلام من أوردها . ولم أترجم للأعلام إلا ما ذكرته من شيوخ وتلاميذ أبي عبيدة وابن قتيبة حين التعريف بهما .

هذا وقد كففت القلم عن الإسهاب والإطناب في أحايين كثيرة ؛ خشية الإطالة والخروج عن الغاية، و " حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق " .

وأعتذر إليك إن ضعف البيان، أو قصر البنان، أو وقع الخطأ والنسيان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد سيد ولد عدنان .

المبحث الأول

ترجمة لأبي عبيدة، وابن قتيبة، وتعريف بكتابيهما

المطلب الأول

ترجمة أبي عبيدة (١)

اسمه ونسبه:

الإمام، العلامة، البحر، أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنى، التيمي مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف .

مولده:

اختلف في مولده، والأقرب أنه ولد سنة: (١١٠هـ) .

شيوخه(٢):

١ - أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة (٣) .

---

(١) انظر: المعارف، لابن قتيبة: (ص: ٥٤٣)، وطبقات النحويين واللغويين، للزُّبيدي: (ص: ١٧٥)، والفهرست، لابن النديم: (ص: ٥٨)، وتاريخ الخطيب، للبغدادي: (١٥/ ٣٣٨)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٥)، وبغية الوعاة، للسيوطي: (٢/ ٢٩٤)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية، رسالة ماجستير، للباحث إيهاب فوزي الحجي : (ص: ٩-١٤٥) .

(٢) لأبي عبيدة أكثر من سبعين شيخاً . انظر رسالة الماجستير الموسومة بـ" أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية "، للباحث إيهاب فوزي الحجي: (ص: ٥٦)

(٣) هو: زبّان، وقيل: العريان، أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري . شيخ القراء والعربية . وكان من أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر . مات في =

٢ – يونس بن حبيب البصري، النحوي[١] .

٣–هشام بن عروة بن الزبير الإمام الكبير[٢] .

تلاميذه:

١ – علي بن المديني الإمام المحدِّث [٣].

٢ – أبو عُبيد القاسم بن سلام الإمام ذو الفنون [٤].

= حدود سنة: ١٥٧هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٤٠٧)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (١/ ٩١٤) .

(١)هو يونس بن حبيب أبو عبدالرحمن الضبي مولاهم، البصري، إمام النحو، كانت له حلقة ينتابها الطلبة والأدباء وفصحاء العرب. من مؤلفاته: معاني القرآن، واللغات، والنوادر . مات سنة: ١٨٣هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٨/ ١٩١)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٣/ ٢٩٨٢) .

(٢)هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر القرشي، الإمام الثقة، شيخ الإسلام . مات سنة: ١٤٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٦/ ٤٦) .

(٣) علي بن عبدالله بن جعفر البصري، أبو الحسن، المعروف بابن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، العالم بالأسانيد وعللها . مات سنة: ٢٣٤هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١١/ ٤١) .

(٤)القاسم بن سلاَّم بن عبدالله، أبو عُبيد الهروي، البغدادي، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، كان إماماً في القراءات، حافظاً للحديث، رأساً في اللغة وعلومها .من مؤلفاته: غريب الحديث، وكتاب القراءات، والغريب المصنف في علم اللسان . مات سنة: ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٠/ ٤٩٠)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٨٣٨) .

٣- أبو حاتم السجستاني النحوي اللغوي[١] .

عقيدة أبي عبيدة:

نُسِب أبو عبيدة إلى رأي الخوارج، وقد أشار إلى ذلك بعض تلاميذه، ومعاصريه، ومن ألّف في الفِرق، وإليك أشهر من اتهمه بذلك:

الجاحظ إذْ يقول عنه: " وممن كان يرى رأي الخوارج أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى تيم مرة، ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه "[٢]

ويقول أبو حاتم السجستاني عنه: " كان يكرمني بناءً على أنني من خوارج سجستان "[٣] .

وقال عنه ابن قتيبة: " كَانَ الغريب وأيام العرب أغلب عليه، وكان لا يقيم البيت إذا أنشده، ويخطئ إذ قرأ القرآن نظراً، وكان يبغض العرب، وألف فِي مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج "[٤] .

ويقول أبو الحسن الأشعري: " ومن العلماء باللغة – وهو من

(١)سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ثم البصري، أبو حاتم، المقرئ، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف ومنها: إعراب القرآن، واختلاف المصاحف، وما يلحن فيه العامة. مات سنة: ٢٥٥هـ انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٢/ ٢٦٨)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٠١٨) .

(٢)البيان والتبيين، للجاحظ: (١/ ٢٨٠) .

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٧) .

(٤)المعارف، لابن قتيبة: (ص: ٥٤٣) .

الخوارج – أبو عُبيدة معمر بن المثنى، وكان صُفرياً[١]"[٢].

والذي يظهر أن أبا عُبيدة إن صحت نسبته إلى الخوارج فإنه لم يكن رأساً في هذا المذهب ولا من أركانه، يقول الدكتور محمد الشيخ عليو: " وفي تقديري أن أبا عبيدة كان يرى أصول الخوارج العامة، لكنه لم يكن يأبه بما كانت تختلف فيه فرقهم من المسائل والأحكام، بدليل عدم وجود كلام له يحدد فرقته في مصنفاته ..." [٣].

أقوال العلماء فيه:

اختلف كلام العلماء في أبي عُبيدة بين المدح والقدح، – وقد سبق شيء من ذلك – وإليك بعض ما قيل:

فقد أثنى عليه المبرِّد بقوله: " كان أبو زيد الأنصاري أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو، وكانا بعده يتقاربان، وكان أبو عبيدة أكمل القوم " [٤].

وأثنى عليه علي بن المديني، وقال: " كان لا يحكي عن العرب إلا

(١) اختلف في نسبة الصفرية، ولعل أقرب الأقوال أن هذه الفرقة تنسب إلى عبدالله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية أمره، ثم انفصل عنه عندما وقع الخلاف بين قادة الخوارج . انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، للدكتور أحمد محمد جلي: (ص: ٧٢) .

(٢)مقالات الإسلاميين: (١/ ١٨٤) .

(٣)مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري: (ص: ٨١٥) .

(٤) وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٧) .

الشيء الصحيح "[١] .

وبيّن الذهبي منزلته فقال : " قد كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد، بلى، وكان معافى من معرفة حكمة الأوائل، والمنطق وأقسام الفلسفة، وله نظر في المعقول "[٢] .

وقال عنه الأزهري: " ... وله كتبٌ كثيرة في أيام العرب ووقائعها، وكان الغالب عليه الشعر، والغريب وأخبار العرب، وكان مُخلاً بالنحو كثير الخطأ، وكان مع ذلك مغرًى بنشر مثالب العرب، جامعاً لكل غثٍّ وسمين، وهو مذمومٌ من هذه الجهة، وموثوق به فيما يروي عن العرب من الغريب "[٣] .

وانتقده السيوطي فقال: " وَكَانَ شعوبياً [٤] "[٥] .

قلت: الرجل كان عالماً بلسان العرب وأشعارها وأساليب كلامها، وأما اتهامه بالشعوبية فما زال اتهاماً حتى يقوم الدليل القاطع على صحته،

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٥/ ٣٣٨) .

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٩/ ٤٤٧) .

(٣) تهذيب اللغة: (١/ ١٣) .

(٤) يقول الزَّبيدي في تاج العروس: (٣/ ١٤٤): "الشعُوبِيَّةُ: وهم فِرقَة لا تُفَضِّل العَرَبَ عَلَى العَجَم، ولا تَرَى لَهُم فَضْلاً عَلَى غَيْرِهِم".

(٥) بغية الوعاة: (٢/ ٢٩٥) .

والأصل البراءة [١].

مصنفاته:

أبو عبيدة ممن أكثر من التصانيف [٢]، ومنها: مجاز القرآن، وكتاب تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب النقائض، وكتاب الخيل .

وفاته:

توفي أبو عبيدة سنة: (١٠٩هـ). وقيل سنة: (١١٠ هـ) [٣].

(١) قلت: تحدث الدكتور محمد الشيخ عليو بكلام رصين حول اتهام أبي عبيدة بالشعوبية . انظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري: (ص: ٨١٥-٨١٨) .

(٢) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان: (٥/ ٢٣٨) أن تصانيف أبي عبيدة تقارب مائتي مصنف . وذكر ابن النديم في الفهرست: (ص: ٥٨) مائة وتسعة كتب . وأشار الباحث إيهاب فوزي الحجي في رسالته " أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية " إلى مائة وستة وثمانين كتاباً لأبي عبيدة (ص: ٣٦- ٥٣) .

(٣) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٤٣) .

المطلب الثاني

التعريف بكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة

١ – لم يسم أبو عبيدة كتابه بـ(مجاز القرآن) (١)، وإنما سُمي بذلك لكثرة

(١) قلت: جاء في بعض المصادر التاريخية تصريح أبي عبيدة باسم كتابه وبيان السبب الذي دعاه إلى تأليفه، يقول أبو عبيدة: " أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه، فقدمت عليه، وكنت أُخبر عن تجبره، فأذن لي، فدخلت، وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي وهو جالس عليها، فسلمت بالوزارة، فرد وضحك إليّ واستدناني حتى جلست معه على فراشه، ثم سألني وألطفني وبسطني، وقال: أنشدني، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية، فقال لي: قد عرفت أكثر هذه، وأريد من ملح الشعر، فأنشدته، فطرب وضحك وزاد نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة، فأجلسه إلى جانبي، وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبُو عبيدة، علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، وقال لي: إن كنتُ إليك لمشتاقاً، وقد سُئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ قلت: هات، قال: قال الله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات: ٦٥) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله، وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أصنع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز، وسألت عن الرجل، فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، يقال له: إبراهيم بن إِسْمَاعِيل بن داود الكاتب " انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٥/ ٣٤١)، =

ورود هذا اللفظ في كتابه، فقد ذكر كلمة المجاز نحو (٨٧٠) مرة .

٢- أبو عبيدة حين يطلق كلمة المجاز فإنما أراد الإشارة إلى بيان معنى غريب، أو أسلوب من أساليب العرب في كلامها، ولم يرد بالمجاز حصره في المجاز قسيم الحقيقة الذي يذكره أهل البلاغة .

٣- يعد كتاب مجاز القرآن من أوائل الكتب المصنفة في غريب القرآن، بل صرح بعضهم أنه أول كتاب يصنّف في الغريب [(١)] .

٤- قصد أبو عبيدة من كتابه المجاز بيان أن من تضلع بمعرفة لسان العرب وسننها فقد تهيأ لفهم القرآن ومعانيه [(٢)]. وأبان أبو عبيدة أنّ القرآن عربي لا معرب فيه، وما جاء فيه مما يظن أنه معرب فذاك على اتفاق الألفاظ وتقاربها[(٣)] .

٥- اعتمد أبو عبيدة في كتابه على معرفته الواسعة بلغة العرب، وإلمامه بمعاني كلامها، وأساليب بيانها، ويدل لذلك قول أبي عمر الجرمي: " أتيت أبا عبيدة بشيء منه (أي كتابه مجاز القرآن) فقلت له: عمّن أخذت هذا يا أبا عبيدة؟ فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء؟

فقال لي: هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم، فإن شئت فخذه، وإن شئت فذره"[(٤)] .

= والمنتظم، لابن الجوزي: (١٠/ ٢٠٧)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: (٥/ ٢٣٦) .

(١) انظر: فهرسة، ابن خير الإشبيلي: (ص: ٥٤) .

(٢) انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨) .

(٣) انظر: مجاز القرآن: (١/ ١٧) .

(٤) طبقات النحويين واللغويين، للزُّبيدي: (ص: ١٧٦) .

٦- يعد مجاز القرآن لأبي عبيدة ديواناً للشواهد الشعرية، التي يوردها إما بياناً لمعنى غريب، أو دلالة على أسلوب من أساليب العرب التي نزل عليها القرآن، وقد بلغت تلك الشواهد الشعرية (٩٥٢) شاهداً[١].

٧- عرض أبو عبيدة في المجاز إلى نحو (١٠٠) مسألة من مسائل النحو[٢]، ولا يمثل مجاز القرآن نصرة لمدرسة نحوية، فلم يكن أبو عبيدة يتقيد برأي البصريين أو الكوفيين ، فقد كان معاصراً لأوائلهم، وللرجل رأيه واختياره.

٨- مجاز القرآن لا يمثل نصرة لمذهب اعتقادي .

٩- لم يذكر أبو عبيدة أقوال السلف في كتابه ؛ وذاك يتفق مع المنهج الذي ارتسمه لكتابه ؛ إذْ كان يرى أن تفسير السلف يقوم على علمهم بلغة العرب، وسننها في كلامها[٣]، وكأن أبا عبيدة أراد أن يشير إلى المعين الذي كان السلف ينهلون منه .

١٠- منهج أبي عبيدة في مجاز القرآن يتلخص فيما يلي:

أ- قدم بمقدمة مختصرة لكتابه ذكر بعض المصطلحات مثل: (القرآن،

---

(١) ذكر أرقام تلك الشواهد الدكتور فؤاد سزكين. انظر: مجاز القرآن: (٢/ ٣١٧) .

(٢)انظر: المسائل النحوية في مجاز القرآن لأبي عبيدة ورأيه فيها، للباحث: سلام عبدالله محمود عاشور: (١٠٦-١١٠) .

(٣)انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨) . قلت: وإغفال أبي عبيدة لما جاء عن السلف، أو عدم نظره للسياق جعل كتابه عرضة للنقد في بعض المواطن .انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للدكتور مساعد الطيار: (ص: ٣٤٧-٣٥٧) .

والسورة، والآية) [١] .

ب- ذكر عَقِب ذلك جملة من الأساليب العربية الواردة في القرآن، فأشار إلى نحو عشرين أسلوباً [٢] .

ج- رتب كتابه على تريب سور المصحف .

د- يذكر اسم السورة .

هـ- لم يعرض لآيات السورة كلها، وإنما يفسر جملة من آياتها .

و- عُني بالألفاظ الغريبة، والأساليب العربية في الآيات .

ز- تفسيره وبيانه يقوم على ذكر الشواهد من كلام العرب وأشعارها، لبيان غريب، أو توضيح أسلوب .

ح- إيراده للقراءات والآثار قليل جداً [٣] .

---

(١) انظر: مجاز القرآن: (١/ ١-٧) .

(٢) انظر: مجاز القرآن: (١/ ٨-١٩) .

(٣) أشار إلى بعض القراءات في نحو (١٧) موضعاً، وذكر نحو (٦) أحاديث . قلت: لم يذكر أبو عبيدة أقوال السلف في التفسير .

المطلب الثالث

ترجمة ابن قتيبة[1]

اسمه:

العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ[2]، صاحب التصانيف[3] .

مولده:

ولد ابن قتيبة سنة: (٢١٣هـ).

شيوخه:

١ - إسحاق بن راهويه[4] .

(١) انظر: الفهرست، لابن النديم: (ص: ١٠٥)، وتاريخ الخطيب، للبغدادي: (١١/ ٤١١)، والمنتظم، لابن الجوزي: (١٢/ ٢٧٦)، و وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٣/ ٤٢)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/ ٢٩٦)،، والبداية والنهاية، لابن كثير: (١١/ ٥٦)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٤١٤) .

(٢) مدينة من أعمال الجبل، قرب همذان، وينسب إلى الدِّينْوَر جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث . انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢/ ٥٤٥) . قلت: وتقع دينور في غربي إيران في منطقة إقليم كردستان .

(٣)سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٣/ ٢٩٦) .

(٤)إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي، أبو يعقوب بن راهويه، الإمام الكبير، إمام المشرق، سيد الحفاظ، أحد الأعلام، وعلماء الإسلام، والمجتهدين من الأنام . من تصانيفه: كتاب السنن، والمسند، والتفسير . مات سنة: ٢٣٨هـ . انظر: سير أعلام =

٢- محمد بن سلام الجمحي[1] .

٣- أبو حاتم السجستاني النحوي اللغوي[2] .

تلاميذه:

١-ابنه أبو جعفر، أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة[3].

٢- ابن دُرُستويه [4].

٣- قاسم بن أصبغ [5].

= النبلاء، للذهبي: (١١/ ٣٥٨)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (١/ ٤٦٢) .

(١)محمد بن سلام بن عبيدالله الجُمحي بالولاء، أبو عبدالله .كان عالماً، أخبارياً، أديباً، بارعاً . من تصانيفه: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، وغريب القرآن . مات سنة: ٢٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي : (١٠/ ٦٥١)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٣/ ٢١٠٢) .

(٢) سبقت ترجمته: (ص: ٥) .

(٣) كان يحفظ كتب أبيه، وحدّث بها كلها حفظاً بمصر، وتولى القضاء بمصر . مات سنة: ٣٢٢هـ . انظر: معجم الأدباء، للحموي: (١/ ٢٩٣) .

(٤) عبد الله بن جعفر بن دُرُستويه الفارسي النحوي، أبو محمد، أحد من اشتهر وعلا قدره، وكثر علمه، صَحِب المُبِّرد، وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة، ومن مصنّفاته: شرح فصيح ثعلب، وأسرار النحو، ومعاني الشعر، وغير ذلك. مات سنة: ٣٤٧هـ . انظر: كتاب البلغة، للفيروزآبادي: (ص: ٩٨)، وبغية الوعاة، للسيوطي(٢/ ٣٦) .

(٥)قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، الإمام، الحافظ، محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، من تصانيفه: مسند مالك، المنتقى في الآثار، كتاب الأنساب . مات سنة: =

عقيدة ابن قتيبة:

ابن قتيبة من أهل السنة والجماعة، وقد صرّح بذلك إذْ يقول: " ولو أردنا -رحمك الله - أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام،ونرغب فيهم، لخرجنا من اجتماع إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف ؛ لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، وعلى أنه خالق الخير والشر، وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، وعلى تقديم الشيخين، وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول، ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه، وبدعوه وهجروه ..." [(١)] .

ويقول ابن تيمية عنه : " ابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد، وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة ... ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة "[(٢)] .

= ٣٤٠هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٥/ ٤٧٢)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين: (٢/ ١٨٣٣) .

(١)تأويل مختلف الحديث: (ص: ٦٤) .

(٢)مجموع الفتاوى: (١٧/ ٣٩١) . قلت: اتهم ابن قتيبة بتهم في عقيدته وعلمه وخلُقه . وتلك التهم لا تثبت، بل هي مجازفات لا أساس لها. وقد عرض الدكتور علي بن نفيع العلياني تلك التهم ودحضها في كتابه: عقيدة الإمام ابن قتيبة: (ص: ١٠٨-١٢٥) .

ثناء العلماء عليه:

يقول عنه ابن النديم "وكان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه، كثير التصنيف والتأليف " [(١)] .

و قال الخطيب البغدادي عنه: " كان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة "[(٢)] .

ويقول ابن الجوزي عنه: " كان عالماً، ثقةً، ديناً، فاضلاً، وله التصانيف المشهورة "[(٣)] .

ويقول ابن خلكان: " وتصانيفه كلها مفيدة " [(٤)].

وقال عنه الذهبي: " وكان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس "[(٥)] .

ويقول عنه ابن كثير: " النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة "[(٦)] .

مصنفاته:

ابن قتيبة كثير التصنيف في مختلف الفنون [(٧)]، ومن أشهر مصنفاته:

---

(١)الفهرست: (ص: ١٠٥) .

(٢)تاريخ بغداد: (١١/ ٤١١) .

(٣)المنتظم: (١٢/ ٢٧٦) .

(٤)وفيات الأعيان: (٣/ ٤٢) .

(٥)سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٢٩٨) .

(٦)البداية والنهاية: (١١/ ٥٦) .

(٧)انظر: الفهرست، لابن النديم: (ص: ١٠٥-١٠٦) .

تفسير غريب القرآن، وغريب الحديث،وتأويل مشكل القرآن،وتأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار، والشعر والشعراء، وأدب الكاتب .

وفاته:

توفي ابن قتيبة سنة: (٢٧٦هـ) [١] .

(١)انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١١/ ٤١١) .

المطلب الرابع

التعريف بكتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة

أبان ابن قتيبة عن منهجه في كتابه، وكشف عن طريقته السائر عليها، فقال في مقدمة كتابه: " نَفَتتِحُ كتابَنا هذا بذكْر أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا ؛ فنُخبِرُ بتأويلهما واشتقاقهما؛ ونُتْبِعُ ذلك ألفاظاً كثر تَرْدادُها في الكتاب، لم نر بعض السُّور أولى بها من بعض؛ ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله ؛ إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا، بحمد الله.

وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ؛ وأن لا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدِّلالةَ على الحرف المستعمل؛ وأن لا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد. فإنَّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث؛لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف – رحمة الله عليهم – بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلَّفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه ؛ لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب، وقطعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِينَاه وكُفِيناه. وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين. لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ

معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة، وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية، ونَبَذْنَا مُنْكَرَ التأويل، ومَنحولَ التفسير "[1] .

ويمكن أن نعرض كتاب ابن قتيبة في عدة نقاط:

١- لم يسم ابن قتيبة كتابه صراحة، ولكنه أشار في مقدمته السابقة إلى موضوع الكتاب بقوله: " ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن " .

٢- ذكر ابن قتيبة ترتيب كتابه، فجاء على النحو التالي:

أ- عقد باباً بعنوان: " اشتقاق أسماء الله وصفاته، وإظهار معانيه"[2].

ب- أتبع ذلك بذكر: باب تأويل حروف كثرت في الكتاب "[3] .

ج – شرع بعد في تفسير غريب القرآن، مرتباً كتابه وفق ترتيب المصحف، يذكر اسم السورة، ثم الغريب من ألفاظها مع بيان معناها .

٣- بنى ابن قتيبة كتابه على الإيجاز والاختصار .

٤- المعنى الذي يذكره ابن قتيبة في تأويل الآية هو المختار عنده، والراجح لديه، كما أفصح عن ذلك .

٥- اعتنى ابن قتيبة في كتابه بذكر الشواهد الشعرية لبيان معنى غريب، أو للدلالة على أسلوب، وقد بلغ عدد تلك الشواهد نحو (٢٢٠) شاهداً

---

(١)تفسير غريب القرآن: (ص: ٣-٤) .

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن: (ص: ٦-٢٠). فذكر في هذا الباب (٢٦) لفظاً وبين معانيها.

(٣) انظر: المصدر السابق : (ص: ٢١-٣٧) . ذكر تحت هذا الباب (٤٠) كلمة تكررت في بعض سور القرآن، وبين معناها .

شعرياً .

٦-أورد ابن قتيبة نحو (٣٠)حديثاً نبوياً[١] .

٧- إذا ترتب على الاختلاف في القراءات اختلاف المعنى ذكر ذلك ابن قتيبة، وقد ذكر نحو(٤٧) موضعاً .

٨- اهتم ابن قتيبة ببيان اشتقاق الكلمة .

٩- كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة أسبق من كتابه تفسير غريب القرآن، ولذا كثرت الإحالة عليه .

١٠- انتفع ابن قتيبة من كتابي أبي عبيدة والفراء .

١١- أقوال السلف قليلة جداً في كتاب ابن قتيبة، وقد أوضح سبب ذلك في مقدمته .

(١)كما في ترقيم السيد أحمد صقر: تفسير غريب القرآن: (ص: ٥٥٥) .

المبحث الثاني
تعقبات ابن قتيبة على أبي عبيدة

المطلب الأول: معنى الضِّعْفين

قاعدة: القول الذي يؤيده سياق الآيات أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون في تفسير آية، وتعددت أقوالهم، نظرنا في سياق الآيات فأولى الأقوال وأرجحها حينئذ ما اتفق وسياق الآيات ؛ لأن انتظام الكلام أولى من تفريقه وتشتيته.

وقد رجّح ابن قتيبة بهذه القاعدة، وتعقب أبا عبيدة مستنداً إلى دلالة السياق، فعند قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[1].

يقول: "﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ قال أبو عبيدة: يُجعل الواحدُ ثلاثةً لا اثنين. هذا معنى قول أبي عبيدةَ.

ولا أراه كذاك؛ لأنه يقول بعدُ: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: يُطعهْـا. ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾[2] ؛ فهذا يدلُّ على أن (الضِّعفين) ثَمَّ أيضًا: مِثْلان.

وكأنه أراد: يضَاعف لها العذابُ، فيجعل ضِعفَيْن، أي مِثليْن، كلُّ

---

(١) سورة الأحزاب: (٣٠) .

(٢) سورة الأحزاب: (٣١) .

واحد منهما ضعفُ الآخر. وضعفُ الشيء: مِثلُه. ولذلك قرأ أبو عَمْرٍو: (يُضَعَّفْ) [١] لأنه رأى أن (يُضعَّف) للمِثْل و(يُضاعف) لما فوق ذلك.

وهذا كما يقول الرجل: إن أعطيتَني درهمًا كافأتك بضِعفَيْن -أي بدرهمين- فإن أعطيتَني فردًا أعطيتُك زوجَيْنِ؛ يريد اثنين. ومثلُه: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي مِثْلَين" [٢] .

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون في معنى هذه الآية قولين:

القول الأول: أن المراد بالضعفين: المِثْلان، فيكون العذاب مرتين، وهذا اختيار ابن قتيبة، وهو قول جماهير أهل التفسير، و منهم:

الطبري[٣]، والزجاج[٤]، والنحاس[٥]، والسمرقندي [٦]، ومكي بن

---

(١)يقول ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر: (٢/ ٣٤٨): " وَاخْتَلَفُوا فِي: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِالنُّونِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَهَا، وَنَصْبِ الْعَذَابَ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ بِالْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَهَا وَرَفْعِ الْعَذَابُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ بِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ وَأَلِفٍ قَبْلَهَا ".

(٢) تفسير غريب القرآن: (ص: ٣٥٠) .

(٣) انظر: جامع البيان: (٢٠/ ٢٥٥) .

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ٢٢٦) .

(٥) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ٣٤٣) .

(٦) انظر: بحر العلوم: (٣/ ٥٥) .

أبي طالب[١]، وابن الجوزي[٢]، والقرطبي[٣]، والبيضاوي[٤]، والنسفي[٥]، والخازن[٦]، وأبو حيان[٧]، والإيجي[٨]، وأبو السعود[٩]، والشوكاني[١٠]، والآلوسي[١١]، وابن عاشور[١٢].

دليل هذا القول: سياق الآية دل على أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يؤتين الأجر على الطاعة مرتين - فإذا كان ذلك كذلك – تبين أنّ المراد بالضعفين من العذاب أن يكون مرتين كذلك .

القول الثاني: أن المراد بالضعفين من العذاب أن يُجعل العذاب ثلاثة أعْذبة ، وهذا قول أبي عبيدة إذْ يقول: " ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ أي يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة ؛ لأن ضعف الشيء مثله، وضعفي الشيء

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٩/ ٥٨٢٧) .

(٢) انظر: زاد المسير: (٤/ ٣٧٢) .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ١٧٤) .

(٤) انظر: أنوار التنزيل: (٥/ ١١) .

(٥) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ٤٤٠) .

(٦) انظر: لباب التأويل: (٥/ ٢٥٧) .

(٧) انظر: البحر المحيط: (٧/ ٢٢٠) .

(٨) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٣٥٠) .

(٩) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ١٠١) .

(١٠) انظر: فتح القدير: (٤/ ٢٧٦) .

(١١) انظر: روح المعاني: (٢١/ ١٨٤) .

(١٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢١/ ٣١٩) .

مثلا الشيء، ومجاز: (يُضاعف) أي: يجعل الشيء شيئين حتى يكون ثلاثة، فأما قوله: و(يُضَعَّف) أي: يجعل الشيء شيئين "[(١)].

دليل هذا القول: القراءة المتواترة في الآية: (يُضاعف) ومعنى ذلك أن يضاف إلى الشيء مثلاه، حتى يكون ثلاثة أمثاله، وعلى هذا فيحمل الضعفين من العذاب على أنه ثلاثة أَعْذِبة .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح اختيار ابن قتيبة وجماهير أهل التفسير أن المراد بالضعفين من العذاب في الآية أن يكون العذاب مرتين، وذلك لما يلي:

١ - سياق الآية شاهد على ذلك، و دلالة السياق مقدمة عند التنازع، إلا إذا وجدت قرينة صارفة عن ذلك، ولا قرينة هنا.

٢ - الغالب في كلام العرب أنها تطلق الضِّعف وتريد به المثلين – وإن كان لا ينكر في كلامها إطلاق الضعف على ما زاد على المثلين[(٢)] – ولكن الأولى حمل القرآن على دلالة الغالب، خاصة وقد شهد السياق بذلك .

وأما قول أبي عبيدة في تفريقه بين دلالة: (يُضاعف) و: (يُضَعَّف) فقد أجاب عن ذلك أبو جعفر النحاس، فذكر أن التفريق بين دلالتهما لا يعرفه أحد من أهل اللغة، والمعنى في (يُضاعف) و(يُضَعَّف)، واحد أي:

---

(١) مجاز القرآن: (٢/ ١٣٦) .

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٩/ ٢٠٣)،

يجعل ضعفين، أي: مثلين، كما تقول: إن دفعت إليّ درهماً دفعت إليك ضعفيه، أي: مثليه، يعني: درهمين[1] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٥/ ٣٤٤)، وجامع البيان، للطبري: (٢٠/ ٢٥٥) .

المطلب الثاني: معنى فارغاً

ورجح ابن قتيبة بقاعدة السياق التي سبقت الإشارة إليها في المثال السابق، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

يقول: " ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ قال أبو عبيدة: فارغًا من الحزن لعلمها أنه لم يُقتل؛ أو قال: لم يَغْرَق .

وهذا من أعجب التفسير . كيف يكون فؤادُها من الحزن فارغًا في وقتها ذاك، واللهُ سبحانه يقول: چۀ ۀ ہ ۂ چ ؟! وهل يُربَطُ إلا على قلب الجازع والمحزون؟! والعربُ تقول للخائف والجبان: فؤاده هواء. لأنه لا يَعِي عزمًا ولا صبرًا. قال الله: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[2].

وقد خالفه المفسرون إلى الصواب، فقالوا أصبح فارغًا من كل شيء إلا من أمر موسى؛ كأنها لم تهتمَّ بشيء -مما يهتم به الحيُّ- إلا أمْرَ ولدها[3].

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فذكروا عدة معان مرجعها إلى قولين:

القول الأول: أصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء إِلا من ذِكْر موسى

---

(١) سورة القصص: (١٠) .

(٢) سورة إبراهيم: (٤٥) .

(٣) تفسير غريب القرآن: (ص: ٣٢٨) .

والحزن عليه . وذهب إلى هذا المعنى:

الفراء[١]، والطبري[٢]، والزجاج[٣]، والنحاس[٤]، والسمرقندي[٥]، والواحدي[٦]، والبغوي[٧]، والزمخشري[٨]، والقرطبي[٩]، والبيضاوي[١٠]، والنسفي[١١]، والخازن[١٢]، وأبو حيان[١٣]، وابن كثير[١٤]، والإيجي[١٥]، وأبو السعود[١٦]، والشوكاني[١٧]، والآلوسي[١٨] .

(١) انظر: معاني القرآن: (٢/ ٣٠٣) .

(٢) انظر: جامع البيان: (١٩/ ٥٢٨) .

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ١٣٤) .

(٤) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ١٥٩) .

(٥) انظر: بحر العلوم: (٣/ ٣٠٨) .

(٦) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٣) .

(٧) انظر: معالم التنزيل: (٣/ ٥٢٥) .

(٨) انظر: الكشاف: (٣/ ٣٩٥) .

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٢٥٤) .

(١٠) انظر: أنوار التنزيل: (٤/ ٢٨٤) .

(١١) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ٣٣٠) .

(١٢) انظر: لباب التأويل: (٥/ ١٦٥) .

(١٣) انظر: البحر المحيط: (٧/ ١٠١) .

(١٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٢٣٣) .

(١٥) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٢٣٨) .

(١٦) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ٢٢٦) .

(١٧) انظر: فتح القدير: (٣/ ١١٥) .

(١٨) انظر: روح المعاني: (٢٠/ ٤٨) .

دليل هذا القول: التعقيب بقوله تعالى: ﴿ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا ﴾، يدل على أن قلبها فرغ من كل شيء إلا من الحزن على موسى عليه السلام، ولـذا ربط الله على قلبها، والقول الذي يؤيده السياق أولى من غيره .

القول الثاني: أن المعنى أصبح فؤاد أم موسى فارغاً من الحزن عليه لعلمها أنه لم يغرق . وهذا قول أبي عبيدة إِذ يقول: " ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ مجازه: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، منه قولهم: دم فرغٌ، أي: لا قود فيه، ولا دية فيه" [(١)].

وقال بهذا المعنى: الأخفش [(٢)]، والعكبري [(٣)]، وابن عاشور [(٤)] .

دليل هذا القول: قالوا: إنّ أم موسى عليه السلام أيقنت بوعد الله تعالى بحفظ ابنها، وحينئذ فرغ قلبها من الحزن على موسى عليه السلام .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن وافقه من المفسرين، وأن معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ ﴾ أن قلب أم موسى أصبح فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى والحزن عليه، وذلك لما يلي:

١ – أن هذا القول هو القول الأنسب للسياق، والمعنى الذي يؤيده السياق

---

(١) مجاز القرآن: (٢/ ٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٥٣) .

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن: (٢/ ١٠١٧) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: (٢٠/ ٨٠) .

أولى من غيره .

٢- هذا المعنى يتفق وما عُلم من شفقة الأم وشدة وجْدها على أولادها بما أودع في نفسها، فكيف إذا ألمّ بهم كرب، أو خشية عليهم مكروهاً ؟!

٣- ذهب إلى هذا القول جماهير المفسرين، وقول الجماعة أولى من غيره ما لم تقم حجة على خلافه .

ويجاب عن قول أبي عبيدة ومن وافقه:

بأن قولهم مخالف لسياق الكلام، وللظاهر المتبادر من الخطاب .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

المطلب الثالث: معنى مسحوراً

قاعدة: تحمل معاني القرآن على أحسن الوجوه وأوضحها، ولا حاجة لمعنى مستكره:

القرآن نزل بأحسن الألفاظ وأجملها، ومعاني القرآن هي كذلك في الحسن والبيان – فإذا كان الأمر كذلك – فلا حاجة إلى أن تفسر معاني القرآن على وجه مستكره، وفي المعاني الواضحة الجلية غُنية عن ذلك .

وقد رأينا ابن قتيبة يتعقب أبا عبيدة ويحكم على المعنى الذي ذهب إليه بأنه معنى مستكره، لا ينبغي القول به، وفي أقوال السلف غُنية عن ذاك المعنى، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[1] .

يقول ابن قتيبة: " ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ أي: مُتَنَاجون: يُسَارُّ بعضهم بعضا.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ قال أبو عبيدة: يريدون بشراً ذا سَحْرٍ، أي ذا رِئَةٍ . ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير المستكره ؟ .

وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه. قال مُجَاهد في قوله: ﴿ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ أي: مَخْدُوعًا؛ لأن السِحر حيلة وخديعة. وقالوا في قوله: ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2] أي: من أين تخدَعون ؟ و﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ

(١) سورة الإسراء: (٤٧) .

(٢) سورة المؤمنون: (٨٩) .

مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾[1] أي من المُعَلَّلِينَ . وقال امرؤ القيس:

ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشرابِ [2]

أي نُعَلَّل، فكأنا نخدع. وقال لَبِيد:

فإن تسألينا: فيمَ نحن؟ فإنَّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ [3]

أي المُعَلَّل. والناس يقولون: سحرْتني بكلامك. يريدون خدعتني.

وقوله: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[4] يدل على هذا التأويل ؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه. ولكنهم لما أرادوا رجلاً مَخْدُوعًا - كأنه بالخديعة سُحِر - كان مثلاً ضربوه، وتشبيهاً شبّهوه. وكأن المشركين ذهبوا إلى أن قومًا يعلِّمونه ويخدعونه. وقال الله في موضع آخر حكاية عنهم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[5]

وقول فرعون: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[6] لا يجوز أن يكون أراد به: إني لأظنك إنسانًا ذا رِئَةٍ؛ وإنما أراد: إني لأَظنك مَخْدُوعًا "[7] .

(١) سورة الشعراء: (١٥٣) .

(٢) ديوان امرئ القيس: (ص: ٧٨) . وصدر البيت: أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيْبٍ .

(٣) ديوان لبيد: (٤٧).

(٤) سورة الإسراء: (٤٨) .

(٥) سورة النحل: (١٠٣) .

(٦) سورة الإسراء: (١٠١) .

(٧) تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٥٥-٢٥٧) .

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بالمسحور في هذه الآية، وإليك أشهر أقوالهم:

القول الأول: أن المراد بالمسحور: المخدوع، وهذا اختيار ابن قتيبة، وممن ذهب إليه من المفسرين:

مجاهد(١)،والنحاس(٢)، والواحدي(٣)، والخازن (٤)، والخطيب الشربيني(٥) .

أدلة هذا القول:

١ – معاني القرآن تحمل على أحسن الوجوه وأوضحها، ولا ينبغي حمل معانيه على معنى مستكره، وهذا التأويل واضح الدلالة لا استكراه فيه .

٢ – سياق الآيات يؤيد هذا المعنى ؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ يأكل ويشرب، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه له .

٣– نظائر هذه الآية تدل على هذا التأويل .

القول الثاني: أن المراد بالمسحور: المجنون الذي سُحِر فاختلط عقله، وذهب

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٤/ ١٦١)، وبحر العلوم، للسمرقندي: (٢/ ٣١٤) . ولم أهتد إليه في تفسير مجاهد المطبوع .

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ١٦١) .

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٦٣٦) .

(٤) انظر: لباب التأويل: (٤/ ١٦٣) .

(٥) انظر: السراج المنير: (٣/ ٣٤٦) .

إلى هذا المعنى جماهير أهل التفسير، ومنهم:
مقاتل[1]، وابن عطية[2]، وابن الجوزي[3]، والرازي[4]، والنسفي[5]، وأبو حيان[6]، وابن كثير[7]، والثعالبي[8]، والبقاعي[9]، والإيجي[10]، وابن عجيبة[11]، والآلوسي[12]، والسعدي[13]، وابن عاشور[14].

أدلة هذا القول:

هي أدلة القول الأول نفسها، ويزاد على ذلك بأن أشهر دلالة لكلمة (مسحور) هو ذاك المجنون الذي سُحِر فغُلِب على عقله .

(١) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٢٦٠) .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: (٣/ ٤٦١)

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر: (ص: ٣٥٥) .

(٤) انظر: مفاتح الغيب: (٢٠/ ٣٥٢) .

(٥) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٦٣) .

(٦) انظر: البحر المحيط: (٦/ ٤٠) .

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٨٣) .

(٨) انظر: الجواهر الحسان: (٣/ ١٣١) .

(٩) انظر: نظم الدرر: (٤/ ٣٩١) .

(١٠) انظر: تفسير الإيجي: (٢/ ٣٩٣)، و: (٣/ ١٤٦) .

(١١) انظر: البحر المديد: (٣/ ٢٠٥) .

(١٢) انظر: روح المعاني: (١٥/ ٨٩) .

(١٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٥٩) .

(١٤) انظر: التحرير والتنوير: (١٨/ ٣٢٩) .

القول الثالث: المراد بالمسحور في هذه الآية : الذي له سَحْر، أي: رئة[١]، ولذا يأكل ويشرب فهو بشر مثلكم، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول:

"﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: ما تتبعون،كقولك: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي له سَحْر، وهو أيضاً مُسَحَّر، وكذلك كل دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور ؛ لأن له سَحْراً، والسَّحْر الرِّئة، قال لبيد:

فإن تسألينا: فيمَ نحن؟ فإنَّنا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ

وقال[٢]: ونُسْحَرُ بالطَّعام وبالشرابِ

أي: نُغذي ؛ لأن أهل السماء لا يأَكلون،فأَرادوا أن يكون مَلَكاً "[٣].

وذهب إلى هذا المعنى مكي بن أبي طالب[٤] .

دليل هذا القول:

قالوا: السَّحْر الرِّئة، وعليه فإن المشركين أرادوا بقيلهم ذاك صد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فما هو إلا بشر مثلهم يأكل ويشرب .

القول الرابع: جوّز بعض المفسرين حمل الآية على معنيين، فالمسحور يراد به: المجنون، ويراد به: الذي له رِئة، فهو يأكل ويشرب، وذهب إلى هذا

---

(١) السَّحْر: يطلق على: الرئة، وعلى ما الْتَزَق بالحُلْقُوم والمَرِئ من أعْلَى البَطْنِ-من قَلْب وكَبِدٍ ورِئَةٍ- انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٤٨)، وتاج العروس، للزّبيدي: (١١/ ٥١٠) .

(٢) أي: امرىء القيس كما سبق: (ص: ٢٤)

(٣) مجاز القرآن: (١/ ٣٨١) .

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/ ٤٢١٨)، و: (٨/ ٥١٧٩) .

القول: الطبري[1]، وأبو السعود[2] .

دليل هذا القول:

يمكن أن يستدل لهذا القول بأنه إذا أمكن حمل القرآن على أكثر من معنى فهو أولى ؛ فذاك من خصائص الكلام البليغ .

الترجيح

الذي يظهر أن الراجح القول الثاني، وهو قول جماهير أهل التفسير، أن المراد بالمسحور: المجنون الذي سُحِر فاختلط عقله، وذاك لما يلي:

١ - قوة أدلتهم .

٢ - أن هذا المعنى هو المتبادر الشائع عند الإطلاق، ومعاني القرآن تحمل على المعروف المشهور في لسان العرب .

ويجاب عن الأقوال الأخرى:

١ - قول ابن قتيبة ومن وافقه بأن المراد بالمسحور: المخدوع - وإنْ كان له حظ من النظر ؛ لأن السحر حيلة وخديعة - إلا أن هذا المعنى ليس هو المتبادر عند الإطلاق .

٢ - قول أبي عبيدة بأن المراد بالمسحور: الذي يأكل ويشرب . قد أجاب عن هذا القول وتولى الرد عليه ابن قتيبة فأجاد وأحسن .

٣- القول بأن تحمل الآية على المعنيين، يجاب عن ذلك: بأن حمل الآية على

(١) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٤٦٠) .

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم: (٥/ ١٧٦) .

أكثر معنى إنما يحسن إذا كانت المعاني كلها سائغة، ولا قرينة مرجحة، أما إذا وجدت قرينة للترجيح، أو كان أحد تلك المعاني فيه نظر فلا يصار إلى القول بذلك .

ولذا تعقّب ابنُ كثير ابنَ جرير الطبري في تصويبه لقول أبي عبيدة: " وفيه نظر؛ لأنهم إنما أرادوا هاهنا أنه مسحور له رِئي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه "(١) .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) تفسير القرآن العظيم: (٥/ ٨٣) .

المطلب الرابع: معنى لواقح

رجح ابن قتيبة بالقاعدة السابقة، فذكر أن تفسير القرآن يكون على أحسن المعاني دون معنى مستكره، وإليك كلامه عند قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1] .

إذْ يقول: "﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال أبو عبيدة: (لواقح) إنما هي ملاقحُ، جمع ملقحة . يريد أنها تلقح الشجر وتلقح السحاب. كأنها تنتجه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه. وهو يجد العرب تسمي الرياح لواقح، والريح لاقحًا. قال الطِّرِمَّاح وذكر بُرْدًا مدَّه على أصحابه في الشمس يستظلون به:

قَلِقٌ لأفْنَانِ الرِّيَا ... حِ لِلاقِحٍ مِنْهَا وَحَائِلْ[2]

فاللاقح: الجنوب . والحائل: الشمال. ويسمون الشمال أيضا: عقيماً. والعقيم التي لا تحمل. كما سموا الجنوب لاقحاً. قال كُثَيِّر:

وَمَرٌّ بِسِفْسَافِ التّرَابِ عَقِيمُهَا[3]

(١) سورة الحجر: (٢٢) .

(٢) ديوان الطِّرِمَّاح: (ص: ٢١١) . أفنان الرياح: ضروبها وأنواعها . وقلق: يصف البرد أنه يضطرب ويخفق لضرب الرياح .

(٣) ديوان كُثِّير عزة: (ص: ١٥٠) .وصدر البيت: إذا مستثابات الرياح تنسمت . ومستثابات الرياح: الرياح ذوات اليُمن والبركة التي يرجى خيرها .انظر: أساس =

يعني الشمال، وإنما جعلوا الريح لاقحاً - أي حاملاً - لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصَرِّفه، ثم تحمله فينزل. فهي على هذا الحاملُ. وقال أبو وَجْزَة يذكر حميرًا وَرَدَتْ ماء:

حَتَّى رَعَيْنَ الشَّوَى مِنْهُنّ في مَسَكٍ   مِنْ نَسْلِ جَوَّبَةِ الآفَاقِ مِهْدَاجِ[(١)]

ويروى: (سلكن الشوى)؛ أي: أدخلن قوائمهن في الماء حتى صار الماء لها كالمَسَك. وهي الأسورة. ثم ذكر أن الماء من نَسْل ريح تَجُوب البلاد.

فجعل الماء للريح كالولد؛ لأنها حملته وهو سحاب وحلّته. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾[(٢)] أي: حملت "[(٣)] .

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في توجيه وصف (الرياح) بـ(لواقح) إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنّ لواقِح: جمع لاقِح، أي حوامل، والمعنى أنّ الرياح تحمل الماء والسحاب وتقلّبه وتصرّفه ثم تَسْتَدِرّه، وهذا قول ابن قتيبة، وذهب

= البلاغة، للزمخشري: (١/ ١١٨) .

(١) يقول الأزهري في تهذيب اللغة: (٤/ ٣٦) شارحاً هذا البيت: " سلكْنَ يعنِي الأُتُن . أدخلن شَواهُنَّ أي: قوائمهن . في مَسَك: أي في ماء صار كالمَسَك لأيديها، ثم جعل ذلك الماء من نَسْلِ ريح تجوب البلاد، فجعل الماء للريح كالولد: لأنها حملته".

(٢) سورة الأعراف: (٥٧) .

(٣) تفسير غريب القرآن: (٢٣٧) .

إليه: النسفي[١]، وصديق حسن خان[٢]، والشنقيطي[٣] .

أدلة هذا القول:

١- جاء في لسان العرب وصف الرياح بـ (لواقح)، وتريد بذلك أنها حوامل للمطر.

٢- ورد في القرآن ما يؤيد هذا المعنى وذاك في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا ﴾ أي حملت، فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب .

القول الثاني: : أنّ لواقِح: جمع لاقِح، على جهة النسبة، أي ذات لَقَاح – كقولهم: لابن، أي : ذو لبن: وتامر: ذو تمر – ومنه قول النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ   ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[٤]

فقوله: (ناصب): أي: ذو نصب، على جهة النسب[٥] .

---

(١) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٢٦) .

(٢) انظر: فتح البيان: (٧/ ١٥٩) .

(٣) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٢٦٨) .

(٤) ديوان النابغة: (ص: ١٣) . يقول البغدادي في خزانة الأدب: (٢/ ٣٢١): "قوله: كليني: أمرٌ من وكلت الأمر إليه وكلاً من باب وعد، ووكولاً: إذا فوضته إليه واكتفيت به. و (أميمة) تصغير، ترخيم أمامة، وهي بنته. و (ناصب) بمعنى منصب: من النصب وهو التعب، فجاء به على طرح الزائد، وحمله سيبويه على النسب، أي: ذي نصب، كما يقال: طريق خائف أي: ذو خوف. و (أقاسيه): أكابده. يقول: دعيني لهذا الهم المتعب ومقاساة الليل البطيء الكواكب بالسهر؛ولا تزيديني لوماً وعذلاً؛ وجعل بطء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرب فينقضي الليل" .

(٥) انظر: خزانة الأدب، لعبدالقادر البغدادي: (٢/ ٣٢٢) .

ومعنى الآية: أن الرياح ذات لَقَاح، فتلقح السحاب والشجر .

وذهب إلى هذا: الثعالبي[١]، والراغب الأصفهاني[٢] ، وأبو حيان[٣] .

دليل هذا القول: ورود هذا المعنى في أحاديث العرب وأشعارها .

القول الثالث: أن معنى الرياح لواقح، أي: ملاقح، جمع مُلْقِحة، ومُلْقِح اسم فاعل فحذفت الميم تخفيفاً، ورُدِّت الكلمة إلى أصلها (لقحة) [٤]، فجمعها كما تجمع لاقحة، وعليه فالرياح مُلقِحة لغيرها، فهي تلقح السحاب والشجر، وهذا قول أبي عبيدة، ولذا يقول: " ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ مجازها: مجاز ملاقح ؛ لأن الريح مُلْقِحة للسحاب، والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم ؛ لأنها تعيده إلى أصل الكلام، كقول نَهْشَل بن حَرِيّ يرثى أخاه:

لِيبُكَ يزيدُ بائسٌ لِضِراعةٍ وأشعثَ ممن طوَّحتْه الطَّوائحُ[٥]

فحذف الميم لأنها المَطاوِحِ .

---

(١) انظر: الجواهر الحسان: (٢/ ٢٩٢) .

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن: (ص: ٧٤٤) .

(٣) انظر: البحر المحيط: (٥/ ٤٣١) .

(٤) انظر: المقتضب، للمبرد: (٤/ ١٧٩) .

(٥)الطائح: المشرف على الهلاك . فالشاعر يصف يزيد بالنصر والكرم للذليل وطالب المعروف، فيقصده الضارع للخصومة، ويلتجئ إليه من أصابته شدة السنين فأشرف على الهلاك .انظر: خزانة الأدب، لعبدالقادر البغدادي: (١/ ٣٠٧)، ولسان العرب، لابن منظور: (٢/ ٥٣٦) .

وقال رؤبة:

يَخْرُجْن من أَجوازٍ ليلٍ غاضٍ[1]

أي مُغضٍ.

وقال العجَّاج:

تكشِف عن جَمَاتِهِ دلْوُ الدَّالْ[2] "[3].

وذهب إلى هذا: الواحدي[4]، والخازن[5]، وابن كثير[6]، والسعدي[7].

(١) ديوان رؤبة: (ص: ٨٢).وعجز البيت: نَضْوَ قداحِ النَّابِلِ النَّواضِي .وليلة غاضية: شديدة الظلمة.انظر: لسان العرب، لابن منظور: (١٥/ ١٢٨).

(٢) ديوان العجاج: (١/ ٢٤٤). وعجز البيت: عَباءةً غَثْراءَ من أَجْنٍ طالْ . يقول ابن قتيبة، في أدب الكاتب: (ص: ٦١٢): " الدَّالي: هو الجاذبُ للدَّلْو ليخرجها، يقال منه: دَلا يَدْلُو، و(المُدْلي): هو المُسْتَقي، يقال: أَدْلَى دَلْوَهُ: إذا ألقاها في الماء ليستقي، ولو قال العجاج المُدْلي لكان أشبه بما أراد، ولكنه أراد القافية، وعلم أن الدالي والمُدْلي يجوز أن يوصف بهما المستقي بالدلو، قال: فأراد يكشف عن الماء دلو المستقي " . ويقول الجواليقي في شرح أدب الكاتب: (ص: ٣٠١): " والجمّات: جمع جمة، وجمة البئر اجتماع مائها، والدالي الجاذب للدلو من البئر ليخرجها، ويقال الدالي معناه صاحب الدلو، كاللابن والتامر . والعباية: الكساء، والغثراء كالغبراء . ويعني بالعباية ما على الماء من الغلفق –أي: الطحلب-؛ لأنه لا يورد . والأَجِن: المتغير . طال عليه طلاء وهو ما ألبسه".

(٣) مجاز القرآن: (١/ ٣٤٨).

(٤) انظر: الوجيز: (١/ ٥٩٠).

(٥) انظر: لباب التأويل: (٤/ ٦٣).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٥٣٠).

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٣٠).

أدلة هذا القول:

١- ورود هذا الأسلوب في كلام العرب، من إطلاق الفاعل بمعنى مفْعِل[١] .

٢- سياق الآيات يؤيد هذا المعنى ؛ فإذا لقّحت الرياحُ السحاب نزل المطر- بإذن الله- ، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ .

القول الرابع: أن الرياح لواقح وملاقح، فالرياح لاقحة مُلقِّحَة،لاقحة لحملها الماء ، ومُلقِّحة لإلقاحها السحاب والشجر وذاك عملها فيه، وممن فسّر الآية على هذا: الفراء[٢]، الأخفش[٣]، والطبري[٤]، والزجاج[٥]، والسجستاني[٦]، والنحاس[٧]، وابن عطية[٨]، والرازي[٩]،

(١) انظر: الخصائص، لابن جني: (٢/ ٢٢) .

(٢) انظر: معاني القرآن: (٢/ ٨٧) .

(٣) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٠٨) .

(٤) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٨٦) .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ١٧٧) .

(٦) انظر: نزهة القلوب: (ص: ٤٠٢) .

(٧) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ٢٠) .قلت: النحاس يرى أنّ لاقحة ولاقح على الحقيقة بلا حذف يأتي على أحد معنيين: ١- يجوز أن يقال لها لاقح على جهة النسب أي ذات لقاح، كأنها تلقح السحاب والشجر .٢- ويجوز أن يقال لها لاقح أي حامل .

(٨) انظر: المحرر الوجيز: (٣/ ٣٥٦)

(٩) انظر: مفاتح الغيب: (١٩/ ١٤٠) .

والقرطبي[1]، والبيضاوي[2]،وأبو السعود[3]، والشوكاني[4]،وابن عاشور[5].

دليل هذا القول: لفظ (لواقح) سائغ أن يحمل على كلا المعنيين، فالرياح لواقح فهي حاملة للمطر، وملقحة للسحاب[6]، وحمل ألفاظ القرآن على أوسع المعاني أولى، فذاك من خصائص الكلام البليغ، مالم تكن قرينة مانعة من ذلك .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح القول الرابع، وأن (لواقح) تدل على معنيين، فالرياح لاقحة، وملقحة، وذاك جار على أسلوب العرب في كلامها، ولا قرينة مانعة من حمل اللفظ على أوسع معانيه .

ويجاب عن الأقوال الأخرى: بأن اختيار أحد المعاني ليس بأولى من المعنى الآخر، مادام الاستعمال واللفظ والسياق سائغاً للقول بها جميعاً .

وأما وصف ابن قتيبة قولَ أبي عبيده -في حمله لواقح على معنى ملاقح - بأنّه قول فيه استكراه واضطرار، فيرد عليه بقول ابن جني إذْ يقول: "قال

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٠/ ١٥) .

(٢) انظر: أنوار التنزيل: (٣/ ٣٦٦) .

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم: (٥/ ٧٢) .

(٤) انظر: فتح القدير: (٣/ ١٢٧) .

(٥) انظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٣٧) .

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥/ ٢١٠) .

الله عز وجل: "﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ وقياسه : ملاقح ؛ لأن الريح تلقح السحاب فتستدره. وقد يجوز أن يكون على لَقِحت هي، فإذا لَقِحت فزَكَت ألقحت السحاب، فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب من المسبب"[1].

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة لم يكن في مكانه .

(١) الخصائص: (٢/ ٢٢) .

المطلب الخامس: دلالة ردّ الأيدي إلى الأفواه

قاعدة: القول الذي تؤيده آية أخرى أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون في معنى آية، وتعددت أقوالهم، فأولى تلك المعاني بالتقديم ما شهد له آية أخرى ؛ وذاك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ويدل بعضه على بعض .

وقد أومأ ابن قتيبة إلى هذه القاعدة ورجح بها، وتعقّب أبا عبيدة وضعّف قوله، ويدلك على ذاك حديثه عند قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[1] .

إذْ يقول: "﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ قال أبو عبيدة: تركوا ما أُمروا به، ولم يُسلِموا.

ولا أعلم أحدًا قال: ردَّ يدَه في فيه؛ إذا أمسك عن الشيء! والمعنى: رَدُّوا أيديهم في أفواههم، أي: عضُّوا عليها حنقًا وغيظا. كما قال الشاعر:

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشْر الحَسُودِ[2]

---

(١) سورة إبراهيم: (٩) .

(٢)انظر: كتاب المعاني الكبير، لابن قتيبة .: (ص: ٨٣٤)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (١٤/ ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (١٢/ ١١٣). وعجز هذا البيت: =

يعني: أنهم يَغيظُون الحسودَ حتى يعض على أصابعه العشر، ونحوه قول الهُذَلي:

قَدَ أفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا[١]

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأضحى يعضُّ عليَّ وظِيفَ الذراع، وهكذا فسر هذا الحرفَ ابنُ مسعود[٢]، واعتبارُه قولُه عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾[٣] "[٤].

أقوال المفسرين:

ذكر المفسرون عدة معان في تفسير هذه الآية، ودونك أشهر تلك الأقوال:

القول الأول: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظاً وحنَقاً على الرسل، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، واختيار ابن قتيبة، وذهب إلى هذا القول من المفسرين:

= حتى يَعَضّ عليّ الأكُفّا .

(١)انظر: ديوان الهذليين: (٢/ ٧٣). قال ابن منظور في لسان العرب: (١٢/ ١٦): " الأزْم: شدة العض بالفم كله، وقيل بالأنياب، والأنياب هي الأوزام" . وقال أيضاً في اللسان: (٩/ ٣٥٨): " الوظيف: مُسْتدَقُّ الذِّراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع: الأَوْظِفة " .

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري: (١٦/ ٥٣١) .

(٣) سورة آل عمران: (١١٩) .

(٤) تفسير غريب القرآن: (٢٣٠-٢٣١) .

الطبري[١]، والنحاس[٢]، والواحدي[٣]، والقرطبي[٤]، والنيسابوري[٥]، وأبو حيان[٦].

أدلة هذا القول:

١-هذا الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من جملة: ردّ اليدِ إلى الفم.

٢- هذا القول تؤيده آية أخرى، والمعنى الذي يدل عليه القرآن أولى من غيره.

٣- سياق الآيات يشهد لهذا التأويل، ودلالة السياق من قرائن الترجيح.

القول الثاني: أن هذا مَثَل ضربه الله تعالى لبيان إعراضهم عن الحق، ولذا سكتوا فلم يجيبوا، وهذا قول أبي عبيدة إذْ يقول: " ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ مجازه: مجاز المَثَل، وموضعه موضع كَفّوا عما أمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال: ردّ يده في فمه، أي: أمسك إذا لم يجب"[٧].

(١) انظر: جامع البيان: (١٦/ ٥٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٣/ ٥٢٠).

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٥٧٨).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٣٤٥).

(٥) انظر: غرائب القرآن: (٧/ ٣٢١).

(٦) انظر: البحر المحيط: (٥/ ٣٩٧).

(٧) مجاز القرآن: (١/ ٣٣٦).

وذهب إلى هذا المعنى: الأخفش[١]، وذكر الشوكاني[٢] أن هذا القول أقرب إن ثبت هذا الاستعمال في لغة العرب، وفسر السعدي الآية على هذا المعنى[٣] .

دليل هذا القول: قالوا: جاء في سنن العرب في كلامها، وطريقة خطابها قولها للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده في فيه، والقرآن نزل بلسان العرب، فهي طريق لبيان معانيه .

القول الثالث: أنهم كذّبوا الرسل، وردوا عليهم بأفواههم، فقالوا: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾، وهذا قول مجاهد[٤]، وقتادة، واختاره ابن كثير[٥] .

دليل هذا القول: قال ابن كثير في ترجيح هذا القول: " ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ فكأن هذا – والله أعلم – تفسير لمعنى رَدِّ أيديهم في أفواههم "[٦].

---

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (٥/ ٣٠٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩/ ٣٤٦)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (٥/ ٣٩٨)، وفتح القدير، للشوكاني: (٣/ ٩٧)، ولم أهتد إليه في كتاب معاني القرآن، للأخفش .

(٢) انظر: فتح القدير: (٣/ ٩٧) .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٢٢) .

(٤) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ١٢٥) .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٤٨١) .

(٦) تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٤٨١) .

القول الرابع : أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق . ونبّه الزمخشري إلى قوة هذا المعنى[١]، ورجحه ابن المنير في حاشيته على الكشاف[٢]، واختاره الآلوسي[٣] .

دليل هذا القول: قال ابن المنير في ترجيح هذا القول – في حاشيته على الكشاف– : " وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة، وإنما كان كذلك ؛لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولاً وفعلاً بوضع اليد في الفم هو المناسب لحسدهم في الكفر"[٤] .

القول الخامس: أن الأيدي المراد بها النعم، والمعنى: أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحوداً لها [٥] .

القول السادس: أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم، وهذا قول الحسن[٦]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل[٧] .

---

(١) انظر: الكشاف: (٢/ ٥٤٢) .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر: روح المعاني: (١٣/ ١٥٢) .

(٤) انظر: الكشاف: (٢/ ٥٤٢) مع حاشية ابن المنير عليه، حاشية (١) .

(٥) انظر: معاني القرآن، للزجاج: (٣/ ١٥٦)، والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٥)، والكشاف، للزمخشري: (٢/ ٥٤٢) .

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية: (٣/ ٣٢٦) .

(٧) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ١٨٥) .

القول السابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاءً لشدة الضحك من كلام الرسل، وذاك على سبيل الاستهزاء بالرسل. وذهب إلى هذا القول: ابن عاشور[(١)] .

القول الثامن: أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم: إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت تكذيباً له ، ورداً لقوله، قاله أبو صالح[(٢)] .

دليل هذه الأقوال[(٣)]: يمكن أن يستدل لهذه الأقوال أن ألفاظ الآية صالحة لتحمل على كل معنى مما ذُكر .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن وافقه من المفسرين، وأن معنى رد الأيدي إلى الأفواه العض عليها من شدة الحنق والغيظ، وذلك لقوة أدلة هذا القول، وسلامتها من النقد .

ويجاب عن الأقوال الأخرى:

أولاً: قول أبي عبيدة ومن وافقه بأن المراد برد الأيدي إلى الأفواه: السكوت والامتناع عن الجواب، يرد عليه بما يلي:

١ - أنكر بعضهم أن يكون ورد في لسان العرب قولها للرجل إذا أمسك عن

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: (١٣/ ١٩٦) .

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٢٤)، وزاد المسير، لابن الجوزي: (٤/ ٣٤٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٩/ ٣٤٥).

(٣) من القول الخامس إلى القول الثامن .

الجواب وسكت: قد رد يده في فيه[١] . وإن ثبت هذا في كلام العرب فإنْ تأويل الآية به خلاف الظاهر المتبادر من ألفاظ وسياقها، والقرآن إنما تحمل معانيه على الشائع المستعمل في لسان العرب،لا على النادر قليل الاستعمال.

٢- ضعّف الطبري هذا القول فقال عنه: "وهذا أيضًا قول لا وَجْه له، لأن الله عزَّ ذِكْره، قد أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم﴾ ، فقد أجابوا بالتكذيب "[٢]. فلم يسكتوا .

ثانياً: قول مجاهد، واختيار ابن كثير، والقول الذي أشار الزمخشري إلى قوته، بأن المراد برد الأيدي إلى الأفواه: الإشارة إلى ما نطقوا به من التكذيب للرسل، يجاب عنه: بأن الآية جاءت بأسلوب العطف ؛ والعطف يلزم منه المغايرة، ولذا تعقب الشنقيطي ابنَ كثير فقال: " الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير –رحمه الله تعالى – ؛ لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله، فيدل على أنّ المراد بقوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه "[٣] .

ثالثاً: القول بأن المراد باليد: النعمة، وأن المعنى ردوا نِعَم الرسل بأفواههم .

(١) قلت: تعقب أبو حيان في البحر المحيط: (٥/ ٣٩٨) ابنَ قتيبة في إنكاره أن يكون هذا الأسلوب سُمع عن العرب، فقال: " ومن سمع حجة على من لم يسمع، هذا أبو عبيدة و الأخفش نقلا ذلك عن العرب " .

(٢) جامع البيان: (١٦/ ٥٣٦) . قلت: تعقب أبو حيان ما قاله الطبري، ولكنه تكلف القول في ذلك . انظر: البحر المحيط: (٥/ ٣٩٨) .

(٣) أضواء البيان: (٢/ ٢٤٣) .

يجاب عنه:

١- حمل الأيدي على النعم قليل في الاستعمال، حتى أنكره بعض أهل اللغة، والمشهور المعروف أن اليد بمعنى النعمة تجمع على أياد[١] .

٢- يلزم على هذا المعنى حمل الكلام على المجاز دون قرينة تؤيد ذلك أو تدل عليه .

رابعاً: القول بأن الكفار يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم . يجاب عنه: بأنه يلزم من ذلك تشتيت الضمائر ؛ إذ الضمائر في الآية عائدة إلى الكفار، وتفريق الضمائر خلاف الأصل مالم تكن قرينة، ولا قرينة على التفريق في هذه الآية .

خامساً: القول بأن رد الكفار أيديهم إلى أفواههم كان من باب إخفاء الضحك . يجاب عنه: بأنه يلزم من ذلك مخالفة سياق الكلام، وسياق الآيات يدل على أنّ رد الكفار أيديهم إلى أفواههم كان من باب الغيظ والحنَق ، لا من باب إخفاء الضحك .

سادساً: القول بأنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم: إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت تكذيباً له . يجاب عنه: بأن يلزم من ذلك حمل الكلام على غير الظاهر المتبادر من دلالة الألفاظ والسياق،

(١) انظر: روح المعاني، للآلوسي: (١٣/ ١٩٣) . يقول ابن جني في الخصائص: (١/ ٢٧٩): " باب في الاستغناء بالشيء عن الشيء : ... اليد التي هي العضو، قالوا فيها أيد البتة. فأما أياد فتكسير أيد لا تكسير يد، وعلى أن (أياد) أكثر ما تستعمل في النعم لا في الأعضاء. وقد جاءت أيضاً فيها " .

والمعنى الذي يؤيده ظاهر الكلام أولى بالتقديم .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

المطلب السادس: معنى يأتمرون

الألفاظ قوالب المعاني ودلائل عليها، وسياق الكلام له أثر في بيان المعاني ووضوحها، فإذا اتسق اللفظ والمعنى وسياق الكلام فذاك، أما إنْ ضاد المعنى اللفظ وما يدل عليه فتلك أمارة على الخطأ، وأن اللفظ حُمِل على غير معناه، وقد تعقب ابن قتيبة أبا عبيدة عند قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾(١) .

فقال: " ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قال أبو عبيدة: يتشاورون فيك ليقتلوك. واحتَج بقول الشاعر:

أحارُ بنَ عمرٍو! كأنِّي خَمِرْ ... ويَعْدُو على المرءِ ما يَأْتَمِرْ(٢)

---

(١) سورة القصص: (٢٠) .

(٢) ديوان امرىء القيس: (ص: ١٥٠) . واختلف في نسبة هذا البيت، ولذا يقول عبدالقادر البغدادي في خزانة الأدب (١/ ٣٧٤) : " وأثبت هذه القصيدة له (أي لامرئ القيس) أبو عمرو الشيباني والمفضل وغيرهما. وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط، يقال له: ربيعة بن جعشم ..." .
وإليك شرح مفردات هذا البيت: الهمزة للنداء، و(حار): مرخم حارث. (والخَمِر) الذي به بقية سُكْر، وقيل: هو الذي خامره داء أو حُب، أي: خالطه. وعدا عليه: جار. ومعنى: ويعدو على المرء ما يأْتمر، أَي: إِذا ائْتَمَرَ أَمْراً غَيْرَ رَشَدٍ عَدَا عليه فأَهلكه . انظر: خزانة الأدب، للبغدادي: (١/ ٣٧٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٢٦) .

وهذا غلط بيّنٌ لمن تدبر، ومضادَّةٌ للمعنى .

كيف يعدو على المرء ما شاور فيه، والمشاورةُ بركة وخير؟! وإنما أراد: يعدو عليه ما همّ به للناس من الشر. ومثله: قولهم: (مَن حفر حفرة وقع فيها)[١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ﴾ أي يَهِمُّون بك. يَدُلُّك على ذلك قولُ النَّمِر بن تَوْلَب:

اعْلَمَنْ أنْ كلَّ مُؤْتَمِرٍ ... مُخْطِئٌ في الرَّأي أحْيَانَا
فإذَا لم يصِبْ رَشَدًا ... كانَ بعضُ اللَّومِ ثُنْيَانَا[٢]

يعني: أن كل من ركب هواهُ وفعل ما فعل بغير مشاورة فلا بد من أن يخطئَ أحيانًا. فإذا لم يُصبْ رُشْدًا لامَهُ الناسُ مرتَيْن: مرةً لركوبه الأمرَ بغير مشاورة، ومرةً لغلطه.

ومما يدلك على ذلك أيضاً قولُه عز وجل: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[٣] لم يُرِد تَشاوَرُوا، وإنما أراد: هُمُّوا به، واعتَزِموا عليه. وقالوا في تفسيره: هو أن لا تُضِرّ المرأةُ بزوجها، ولا الزوجُ بالمرأة.

ولو أراد المعنى الذي ذهب إليه أبو عُبيدةَ، لكان أوْلَى به أن يقول: (إن الملأَ يَتَآمَرُون فيك) أي: يَسْتَأْمِرُ بعضُهم بعضًا "[٤].

(١) انظر: الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام: (ص: ٢٧٠).

(٢) ديوان النمر بن تولب: (ص: ١٣٥).

(٣) سورة الطلاق: (٦).

(٤) تفسير غريب القرآن: (٣٣٠-٣٣١).

أقوال المفسرين:

تنوعت أقوال المفسرين في المراد بقوله: (يأتمرون بك)، وإليك تلك الأقوال:

القول الأول: أن معنى (يأتمرون بك): يهمّون بك، وهذا قول ابن قتيبة، وتابعه النحاس[١] على هذا المعنى .

القول الثاني: أن معنى: (يأتمرون بك): يتشاورون في قتلك، وممن فسر الآية على هذا المعنى:

الزمخشري[٢]، والرازي[٣]، والقرطبي[٤]، والبيضاوي[٥]،وأبو حيان[٦]، وابن كثير[٧]، وابن عادل[٨]، وأبو السعود[٩]، والإيجي[١٠]، والآلوسي[١١]، وابن عاشور[١٢].

---

(١) انظر: معاني القرآن الكريم: (٥/ ١٧٠) .

(٢) انظر: الكشاف: (٣/ ٣٩٩) .

(٣) انظر: مفاتيح الغيب: (٢٤/ ٥٨٨) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٣/ ٢٦٦) .

(٥) انظر: أنوار التنزيل: (٤/ ٢٨٨) .

(٦) انظر: البحر المحيط: (٧/ ١٠٦) .

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٦/ ٢٢٦) .

(٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٥/ ٢٣٣) .

(٩) انظر: إرشاد العقل السليم: (٧/ ٢٣٠) .

(١٠) انظر: تفسير الإيجي: (٣/ ٢٤١) .

(١١) انظر: روح المعاني: (٢٠/ ٥٨) .

(١٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢٠/ ٩٥) .

القول الثالث: أن معنى: (يأتمرون بك): يأمر بعضهم بعضا بقتلك، وذهب إلى هذا المعنى: الزجاج(١) ، والسجستاني(٢)، وابن أبي زمنين(٣) .

القول الرابع: أن يفسر قوله: (يأتمرون بك) بما اشتمله اللفظ من معان تتفق وسياق الكلام، وبذلك فسر الآية أبو عبيدة، إذْ يقول: " ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ مجازه: يهمون بك ويتوامرون فيك ويتشاورون فيك ويرتئون، قال النَّمِر بن تَوْلَب:

أَرَى النَّاسَ قد أحدثوا شِيمة   وفي كل حادثة يُؤتمَرْ(٤)

وقال ربيعة بن جشم النمري:

أَحار بن عمرو كأني خَمِرْ   ويعدو على المرءِ ما يأتَمِرْ

ما يأتمر: ما يرى لنفسه فيرى أنه رشد، فربما كان هلاكه من ذلك "(٥)

.

وممن فسر الآية بما حواه اللفظ من معان: الطبري (٦)، الثعلبي(٧)، ومكي بن أبي طالب (٨) ، والواحدي(٩)، والعز بن عبدالسلام (١٠)،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٤/ ١٣٨) .

(٢) انظر: غريب القرآن: (ص: ٥١٨) .

(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز: (٣/ ٣٢١) .

(٤) ديوان النمر بن تولب: (ص: ٦٤) .

(٥) مجاز القرآن: (٢/ ١٠٠) .

(٦) انظر: جامع البيان: (١٩/ ٥٤٧) .

(٧) انظر: الكشف والبيان: (٧/ ٢٤٢) .

(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٨/ ٥٥٠٩) .

(٩) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٥) .

(١٠) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام: (٢/ ٤٨٤) .

والنسفي[١]، والشوكاني[٢] .

أدلة ما سبق: يمكن أن يستدل للأقوال السابقة كلها بأن لفظ الآية صالح لكل معنى مما ذُكر .

الترجيح:

الذي يظهر أن الأقرب أن معنى: (يأتمرون بك) أي يتشاورون في قتلك، ويأمر بعضهم بعضاً بذلك ، ويدل لذلك:

١ – أن المعاني التي تحتملها ألفاظ القرآن تعتبر مرادة، مالم يخالف ذلك سياق الكلام[٣] .

٢ – أصل هذه اللفظة عائد إلى هذه المعاني، يقول الأزهري: " ائتمر القومُ، وتآمروا، إذا أمر بعضُهم بعضاً .كما يقال: اقتتل القوم وتقاتلوا، واختصموا وتخاصموا ... وائتمر القومُ، إذا تشاوروا " [٤] .

يقول ابن عاشور: " وأصل الِائتمار: قبول أمر الآمر فهو مطاوع أمره ... ثم شاع إطلاق الِائتمار على التشاور ؛ لأن المتشَاوِرِين يأخذ بعضُهم أمر بعض فيأتمر به الجميع "[٥] .

---

(١) انظر: مدارك التنزيل: (٣/ ١٨٥) .

(٢) انظر: فتح القدير: (٤/ ١٦٥) .

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٨١٥) .

(٤) تهذيب اللغة: (١٥/ ٢١١-٢١٢)، وانظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٢٦) .

(٥) التحرير والتنوير: (٢٠/ ٩٦) . وانظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي: (١/ ١٥٩) .

ويجاب عن قول ابن قتيبة في تفسير قوله: (يأتمرون بك) بمعنى: يهمون بك، بما يلي:

١- أن هذا التأويل ليس هو الظاهر المتبادر من ألفاظ الآية، وإيحاء القصة، بل الملأ قد جاوزوا مرحلة الهمّ إلى مرحلة أمر بعضهم بعضاً بقتله، وتشاورهم في طريقة الخلاص منه .

٢- قول ابن قتيبة أن الشورى بركة وخير ذاك أصلها الغالب، ولكن قد تنحرف عن ذلك إما لسوء المستشارين، أو لسوء الموضوع المستشار فيه .

٣- قول ابن قتيبة أن قول الله تعالى: ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[1] لم يُرِد تَشاوَرُوا، وإنما أراد: هُمُّوا به، واعتَزِموا عليه . لا يُسلَّم له هذا القول، بل الآية دالة على التشاور والأمر بالمعروف،

يقول الزمخشري عند هذه الآية: " الائتمار بمعنى التآمر، كالاشتوار بمعنى التشاور. يقال: ائتمر القوم وتآمروا، إذا أمر بعضهم بعضا. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضاً "[2] .

ويقول الشوكاني: " ﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات، أي: تشاوروا بينكم بما هو المعروف غير منكر، وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل، وأصل معناه: ليأمر بعضكم بعضاً بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم "[3] .

---

(١) سورة الطلاق: (٦) .

(٢) الكشاف: (٤/ ٥٥٩) .

(٣) فتح القدير: (٥/ ٢٤٥) . وانظر: جامع البيان، للطبري: (٢٣/ ٤٦١)، والجامع لأحكام =

٤- قول ابن قتيبة: "لو أراد المعنى الذي ذهب إليه أبو عُبيدةَ- أي: التشاور- لكان أوْلَى به أن يقول: (إن الملأَ يَتَآمَرُون فيك) . فقد أجاب عن ذلك ابن عطية فقال: " و (يأتمرون) وزنه يفتعلون، ويفتعلون يأتي كثيراً بمعنى: يتفاعلون، ومنه ازدوج بمعنى: تزاوج . وذهل ابن قتيبة إلى أنه بمعنى يأمر بعضهم بعضاً، وقال لو كان ذلك لكان (يتأمرون).

قال الفقيه الإمام القاضي: وذهب عنه أن يفتعل بمعنى يتفاعل، وفي القرآن: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ "[١].

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة لم يكن في مكانه .

= القرآن، للقرطبي: (١٨/ ١٦٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٨/ ٣٢٩) .

(١) المحرر الوجيز: (٤٦/ ٢٨٢) .

المطلب السابع
معنى الصُّوْر

قاعدة: القول الذي يؤيده الحديث النبوي مقدّم على غيره .

إذا اختلف المفسرون في معنى آية، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد أحد تلك المعاني، فذاك القول المؤيد بالحديث النبوي هو القول المعتمد، والمعنى المرجَّح على غيره . وقد ركن ابن قتيبة إلى هذه القاعدة، وتعقب بها أبا عبيدة لمخالفته إياها، وإليك قوله إذْ يقول: "﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [(١)] قال أبو عبيدة: وهو جمع صُوْرَة. يقال: صُوْرَة وصُوَر وصَوَر.

قال: ومثله سُورَةُ البناء وسُورُه. وأنشد:

سُرْتُ إليه في أَعَالِي السُّورِ[(٢)]

قال: وسور المجد أعاليه. أي: ينفخ في صُوَرِ الناس.

وقال غيره: الصُّوْر: القَرْن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْناهمْ غَداةَ الجْمعَيْن بالضَّابِحَاتِ في غُبارِ النَّقْعَين

نَطْحًا شدِيدًا لا كَنَطحِ الصُّورَين[(٣)]

(١) سورة النمل: (٨٧)

(٢) انظر الشاهد بتمامه: (ص: ٤٩) .

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٤٧١) . والضبح: صوت نَفَس الفرس إذا عدا . انظر: فقه اللغة، للثعالبي: (ص: ٢٤٧) .

وهذا أَعجب إليَّ من القول الأول ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : (كيف أَنْعَمُ وصاحب القرْن قد التَقَمه وحنَى جبْهَته، ينتظر متى يؤْمر فينفخ) [١] "[٢] .

أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في المراد بالصُّوْر إلى قولين:

القول الأول: أنّ المراد بالصُّوْر: القرن الذي يُنفخ فيه، وهذا اختيار ابن قتيبة، وفسر الآية على هذا المعنى جماهير المفسرين:

مقاتل[٣]، والطبري[٤]، والزجاج[٥]، والنحاس[٦]، والسمرقندي [٧]، وابن أبي زمنين[٨]، والثعلبي[٩]، ومكي بن أبي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الأهوال: (٤/ ٦٠٣)، ح: (٨٦٧٨)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقاق، باب الأذكار، ذكر الأمر لمن انتظر الأمر في النفخ الصور، أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل: (٣/ ١٠٥)، ح: (٨٣٢) . والحديث مختلف فيه، فقد أشار الحاكم إلى ضعفه، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٧١) بعد سياق هذا الحديث: " وقد روي هذا من غير وجه، وهو حديث جيد".

(٢) تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٥-٢٦) .

(٣) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٣٤١) .

(٤) انظر: جامع البيان: (١١/ ٤٦٣) .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٦٤) .

(٦) انظر: معاني القرآن الكريم: (٦/ ١٩٢) .

(٧) انظر: بحر العلوم: (١/ ٤٧٩) .

(٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: (٢/ ٧٨) .

(٩) انظر: الكشف والبيان: (٤/ ١٦٠) .

طالب[1]، والبغوي[2]، وابن الجوزي[3]، والرازي[4]،والقرطبي[5]، والنيسابوري[6]وابن جزي[7]، والخازن[8]،، وأبو حيان[9]، وابن كثير[10]، وابن عادل[11]،، والإيجي[12]، وأبو السعود[13]، والشوكاني[14]، والآلوسي[15]، ومحمد رشيد رضا [16]، وابن عاشور[17] .

(١) انظر: الهداية في بلوغ النهاية: (٨/ ٥٤٧٤) .

(٢) انظر: معالم التنزيل: (٢/ ١٣٤) .

(٣) انظر: زاد المسير: (٣/ ٦٩) .

(٤) انظر: مفاتيح الغيب: (١٣/ ٣٠) .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٧/ ٢٠) .

(٦) انظر: غرائب القرآن: (٣/ ١٠٠) .

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٤٧٥) .

(٨) انظر: لباب التأويل: (٢/ ١٤٧) .

(٩) انظر: البحر المحيط: (٧/ ٩٤) .

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٢٨١) .

(١١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: (٨ / ٢٢٦) .

(١٢) انظر: تفسير الإيجي (١/ ٥٥٠) .

(١٣) انظر: إرشاد العقل السليم: (٦/ ٣٠٣) .

(١٤) انظر: فتح القدير: (٢/ ١٣٠) .

(١٥) انظر: روح المعاني: (١٦/ ٤٤) .

(١٦) انظر: تفسير القرآن الحكيم: (٧/ ٤٤٣) .

(١٧) انظر: التحرير والتنوير: (٧/ ٣٠٨) .

أدلة هذا القول:

١ – ثبت في السنة النبوية أن الصُّوْر قرن ينفخ فيه، فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصُّوْر، قال: " قرن ينفخ فيه "(١) .

والتفسير النبوي مقدم على غيره .

٢ – آيات القرآن تؤيد هذا المعنى، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٢) ولو كان المراد بالصُّوْر: الصُّوَر (جمع صُوْرَة) لقال: ثم نُفخ (فيها) أو (فيهن) .وهذا يدل على أن المراد به الصُّوْر: القرن الذي ينفخ فيه (٣) .

القول الثاني: أنّ الصُّور جمع صُوْرَة، وعلى هذا فالمعنى : النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح عند البعث، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر: (٢/ ٤٧٣)، ح: (٣٦٣١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وأخرجه ابن حبان في صحيحه: باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، ذكر الأخبار عن وصف الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة (١٦/ ٢٠٣)، ح: (٧٣١٢) . وقال ابن كثير في تفسيره: (٥/ ٣١٥): " ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن الصُّور، فقال: "قَرنٌ يُنفَخ فيه" .

(٢) سورة الزمر: (٦٨) .

(٣) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي: (٣/ ٦٩) .

" ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ يقال إنها جمع صُوْرَة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم: سور المدينة واحدتها سورة، وكذلك كل ما عَلا وارتفع، كقول النابغة:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك سورةً ترَى كلَّ مَلْكٍ دونَهَا يَتذَبذَبُ [1]

وقال العَجَّاج:

فَرُبَّ ذي سُرَادقٍ محجورِ سِرْتُ إليهِ فِي أعالي السُّورِ [2]

ومنها: سَورة المجد: أعاليه؛ وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سورُ المدينة والجِبَالُ الخُشَّعُ [3] " [4] .

وارتضى البخاري هذا المعنى في صحيحه [5] .

أدلة هذا القول:

١ - قالوا: إن صُوْر جمع صُوْرَة، فإذا كان ذلك كذلك فالمراد بالنفخ في الصُّوْر هنا نفخ الأرواح في الأجساد .

٢ - قرأ الحسن ومعاذ القارئ وأبو مجلز وأبو المتوكل: (في الصُّوَر) بفتح الواو، وهذا يدل على أنه جمع صُوْرة [6] .

(١) ديوان النابغة: (ص: ١٩) .

(٢) ديوان العجاج بن رؤبة: (١/ ٣٤١)، وصدر البيت: أشوس عن سفرة السفير . والأشوس: المتكبر . والسفارة: الصلح . والسفير: الذي يمشي بين القوم بالصلح .

(٣) ديوان جرير: (١/ ٩١٣) .

(٤) مجاز القرآن: (١/ ١٩٦) .

(٥) انظر: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن الكريم، سورة الأنعام: (٦/ ٥٥) .

(٦) انظر: القراءات الشاذة، لعبدالفتاح القاضي: (ص: ٤٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية: =

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة، وهو قول جماهير أهل التفسير، أنّ المراد بالصُّوْر القرن الذي ينفخ فيه، وذلك لقوة أدلتهم، ولسلامتها من المعارضة .

ويجاب عن قول أبي عبيدة أن المراد بالصُّوْر: جمع صُوْرَة، بما يلي:

١ – القول بأنّ الصُوْر جمع صُوْرَة هذا ليس بمعروف في لغة العرب، والمستعمل في جمع صُوْرَة: صُوَر[١]،ولذا أجمع القراء على فتح الواو[٢] في قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٣] .

٢ – قراءة (في الصُّوَر) بتحريك الواو – جمع صُوْرة – قراءة شاذة لم تثبت،

= (٢/ ٣٠٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (٤/ ١٢٨) .

(١) انظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس: (٦/ ١٩٢) . يقول الأزهري في تهذيب اللغة: (١٢/ ١٦٠): " قال الفراء: كلُّ جمعٍ على لفظ الواحد الذكَر سبق جمعُه واحدتَه، فواحدتُه بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوَبر والشعَر والقطْن والعشب، فكلّ واحد من هذه الأسماء اسمٌ لجميع جنسه، فإذا أُفْرِدتْ واحدتُه زيدتْ فيها هاء، لأن جميعَ هذا الباب سبق واحدتَه، ولو أن الصوفةَ كانت سابقةً للصوف لقالوا: صوفَةٌ وصُوَف، وبُسْرَةٌ وبُسَر، كما قالوا: غُرْفة وغُرَف، وزُلْفَة وزُلَف .
وأما الصُّوْرُ القَرْنُ فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدتُه صُوْرَة، وإنما تُجمع صورة الإنسان صُوَراً، لأن واحدتَه سبقتْ جَمْعَه " .

(٢) انظر: مفاتح الغيب، للرازي: (١٣/ ٢٩)، وتفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا: (٧/ ٤٤٣) .

(٣)سورة غافر: (٦٤) .

بل القراءة المتواترة (الصُّوْر) بواو ساكنة [1].

٣- يقول الرازي: " ... لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصُّوَر لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى نفسه ؛ لأن نفخ الأرواح في الصُّوَر يضيفه الله إلى نفسه، كما قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[2]، وقال: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[3] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وأما نفح الصُّوْر بمعنى النفخ في القرن، فإنه تعالى يضيفه لا إلى نفسه كما قال: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾[4] وقال: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[5] "[6].

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

---

(٢) سورة الحجر: (٢٩) .

(٣) سورة الأنبياء: (٩١) .

(٤) سورة المدثر: (٨) .

(٥) سورة الزمر: (٦٨) .

(٦) انظر: مفاتح الغيب: (١٣/ ٣٠) .

المطلب الثامن
معنى السَّكَر

قاعدة: القول المعروف عند أهل التفسير أولى من غيره .

إذا اختلف المفسرون وكان أحد المعاني معروفاً عند أهل التفسير فذاك المعنى يقدم على غيره ؛ وقد رجّح ابن قتيبة بهذه القاعدة، وتعقب بها أبا عبيدة ، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١] .

يقول: " ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ أي: خمرًا. ونزل هذا قبل تحريم الخمر . ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ يعني: التمر والزبيب. وقال أبو عبيدة: السَّكَرُ: الطُّعم . ولست أعرف هذا في التفسير " [٢] .

أقوال المفسرين:

اختلفت أقوال المفسرين، وتنوعت عباراتهم في المر بـ" السَّكَر" إلى أقوال:

القول الأول: المراد بالسَّكَر: الخمر، قبل أن تحرّم، وهذا قول ابن قتيبة، وذهب إلى هذا المعنى: مقاتل[٣]، والفراء[٤]،

(١) سورة النحل: (٦٧) .

(٢) انظر: غريب القرآن: (ص: ٢٤٥) .

(٣) انظر: تفسير مقاتل: (٢/ ٢٢٨) .

(٤) انظر: معاني القرآن: (٢/ ١٠٩) .

والزجاج[١]، والنحاس[٢]، والواحدي[٣]، وابن العربي[٤]، والبغوي[٥]، والزمخشري[٦]، وابن الجوزي[٧]، والبيضاوي[٨]، والنسفي[٩]، وابن جزي[١٠]، والخازن[١١]، وابن كثير[١٢]، والإيجي[١٣]، وابن عجيبة[١٤]، والشوكاني[١٥]، والسعدي[١٦]، وابن عاشور[١٧]، والشنقيطي[١٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ٢٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن الكريم: (٤/ ٨٢).

(٣) انظر: الوجيز: (ص: ٦١١).

(٤) انظر: أحكام القرآن: (٣/ ١١٢).

(٥) انظر: معالم التنزيل: (٣/ ٨٦).

(٦) انظر: الكشاف: (٢/ ٦١٧).

(٧) انظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب: (ص: ١٩٦).

(٨) انظر: أنوار التنزيل: (٣/ ٤٠٨).

(٩) انظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٢٤٣).

(١٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١/ ٤٣٠).

(١١) انظر: لباب التأويل: (٤/ ١٠٠).

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/ ٥٨١).

(١٣) انظر: تفسير الإيجي: (٢/ ٣٤٧).

(١٤) انظر: البحر المديد: (٣/ ١٤٢).

(١٥) انظر: فتح القدير: (٣/ ١٧٥).

(١٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٤٣).

(١٧) انظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٠٣).

(١٨) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٤٠٤).

دليل هذا القول: المعروف في لغة العرب إطلاق السَّكَر على الخمر ؛إذْ العرب تطلق اسم السَّكَر على ما يحصل به السُّكْر، وذلك من باب إطلاق المصدر وإرادة الاسم[(١)]، ومن إطلاق السَّكَرِ على الْخَمْرِ قول الشاعر:

بِئسَ الصحاةُ وبئسَ الشربُ شَرْبهمُ   إذا مَشَت فيهمُ الْمُزّاء والسْكَرُ[(٢)]

القول الثاني: المراد بالسَّكَر: الطَّعم مما حل شربه من ثمار النخيل والأعناب، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول: " ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي طُعْماً، ويقال: جعلوا لك هذا سَكَراً أي: طُعْماً، وهذا له سَكَرٌ أي: طُعْم، وقال جَنْدَل:

جعَلتَ عَيْبَ الأكْرمِينَ سَكَرا[(٣)]"[(٤)] .

وذهب إلى هذا التأويل: الطبري[(٥)]، وابن أبي زمنين[(٦)]، وابن عزيز

---

(١) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٤٠٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٧٢) .

(٢) ديوان الأخطل: (ص: ١٠٩) . والمُزّاء: اسم من أسماء الخمر، وقيل: والمُزَّاءُ: الخمر التي تلذع اللسان وليست بالحامضة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: (١٣/ ١٢٣)، ولسان العرب، لابن منظور: (٥/ ٣٠٧) .

(٣) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١٠/ ٣٥)، ولسان العرب، لابن منظور: (٤/ ٣٧٢) . قلت: تعقب الزجاجُ أبا عبيدة في استدلاله بهذا الشاهد، وذكر أن حمل السَكَر في البيت على معنى الخمر أشبه منه بالطعام، والمعنى: أنك جعلت تتخمر بأغراض الكرام، فجعل شغفه بغيبة الناس وتمزيق أعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر . انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣/ ٢٠٩) .

(٤) مجاز القرآن: (١/ ٣٦٣) .

(٥) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦) .

(٦) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: (٢/ ٤٠٩) .

السجستاني[1] .

دليل هذا القول: ورود هذا المعنى في كلام العرب .

القول الثالث: أن السَّكَر: النبيذ . روي هذا المعنى : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والشعبي، والسدي [2] .

القول الرابع: أن السّكَر: الخَلّ بلغة الحبشة، روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الضحاك: هو الخَلّ بلغة أهل اليمن [3] .

القول الخامس: أن السَّكَر: ما يَسدُّ الجوع، مَأْخُوذ مِنْ سَكَرْتُ النهر، إذَا سَدَدْته[4] .

الترجيح:

الذي يظهر أنّ الراجح قول ابن قتيبة وهو قول جماهير أهل التفسير أنّ السَكَر هو الخمر، لأن هذا المعنى هو المعروف المشهور، والقرآن يفسّر بالمعروف المشهور في لغة العرب .

ويجاب عن قول أبي عبيدة: بأنّ ذلك المعنى وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس بالمعنى الأظهر المشهور في لسان العرب . وليس كل ما ثبت في

---

(١) انظر: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن: (ص: ٢٦٦) .

(٢) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦)، وأحكام القرآن، للجصاص: (٥/ ٤)، والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٩٨) .

(٣) انظر: جامع البيان: (١٧/ ٢٤٦) . والنكت والعيون، للماوردي: (٣/ ١٩٨)، و زاد المسير، لابن الجوزي: (٤/ ٤٦٤) .

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي: (٣/ ١١٢) .

اللغة صح حمل آيات القرآن عليه، بل للقرائن أثرها في بيان المعنى[١] .

وأما بقية الأقوال: فضعفها ظاهر، وذاك أنّ القرآن نزل على أفصح اللغات، فلتحمل معانيه على أظهر المعاني .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسن الحربي: (٢/ ٣٦٣) .

المطلب التاسع
معنى المقوين

قاعدة: المعنى الذي يؤيده الفهم الصحيح أولى من غيره:

إذا وقع التنازع بين المفسرين في أولى المعاني بتفسير الآية، وكان أحد تلك المعاني يؤيده الفهم الصحيح بطريق الأولى، فذاك المعنى هو الذي ينبغي أن يصار إليه، وقد رأينا ابن قتيبة يتعقب أبا عبيدة بهذه القاعدة، ولذا عند قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾[(١)].

يقول: " ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ يعني: المسافرين. سموا بذلك: لنزولهم القواء وهو: القَفْر.

وقال أبو عبيدةَ: المُقْوِي: الذي لا زاد معه ؛ يقال: أقوى الرجل؛ إذا نَفِد زاده.

ولا أرى التفسير إلا الأول؛ ولا أرى الذي لا زاد معهُ أولى بالنار ولا أحوجَ إليها من الذي معه الزادُ. بل صاحبُ الزاد أولى بها، وإليها أحوج"[(٢)].

(١) سورة الواقعة: (٧٣).

(٢) تفسير غريب القرآن: (ص: ٤٥١).

أقوال المفسرين:

للمفسرين أقوال في معنى المقوين، وإليك بيانها:

القول الأول: المراد بالمقوين: المسافرون[١]، وهذا اختيار ابن قتيبة، وذهب إليه:

الفراء[٢]، والأخفش[٣]، والزجاج[٤]، والواحدي[٥]، وأبو حيان[٦]، وأبو السعود[٧]، وصديق حسن خان[٨]، والشوكاني[٩]، والسعدي[١٠]، والشنقيطي[١١].

أدلة هذا القول:

١- القَوَاء هي الأرض القفر الخالية البعيدة من العمران، ولذا يقال: أقوت

(١) وقيده بعضهم بالمسافر الذي لا زاد معه ولا شيء، وهذا اختيار الطبري. انظر: جامع البيان: (٢٣/ ١٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن: (٣/ ١٢٩).

(٣) انظر: معاني القرآن: (ص: ٥٩٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه: (٥/ ٩٢).

(٥) انظر: الوجيز: (٢/ ١٣٨).

(٦) انظر: البحر المحيط: (٨/ ٢١٣).

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم: (٩/ ٣٣).

(٨) انظر: فتح البيان: (١٣/ ٣٨٠).

(٩) انظر: فتح القدير: (٥/ ١٥٨).

(١٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٨٣٥).

(١١) انظر: أضواء البيان: (٧/ ٥٣٧).

الدار: إذا خلت من سكانها، فإطلاق المقوين على المسافرين ألصق من حيث اللفظ والمعنى ؛ فالتفسير به أولى .

٢- أن منفعة المسافرين بالنار أكثر من منفعة المقيم، وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع، ويهتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع .

القول الثاني: أنّ المقوين: هم الذين لا زاد معهم ولا مال لهم، وهذا قول أبي عبيدة، إذْ يقول: ﴿ وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ المُقْوي الذي لا زاد معه ولا مال، وكذلك الدار التي قد أقوت من أهلها، وموضع آخر المقوي: الكثير المال، يقال: أَكْثِرْ من مال فلان فإنه مُقْوٍ "[١] .

القول الثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب[٢] .

القول الرابع: أنهم المسافرون، والجائعون، وذهب إلى هذا المعنى: الإيجي[٣]، وابن عاشور[٤] .

دليل هذا القول: علل ابن عاشور اختياره لهذا المعنى فقال: " وَالْمُقْوِي: الدَّاخل فِي الْقَوَاءِ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمَدِّ) وهي القفْر، ويطلق الْمُقْوِي على الجائع لأنّ جوفه أقوت، أَي: خلت من الطعام، إذْ كلا الفعلين مشتق مِنَ الْقَوَى وهو الخلاء، وفراغ البطن ... فإيثار هذا الوصف في هذه الآية ليجمع

(١) مجاز القرآن: (٢/ ٢٥٢) .

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (٩/ ٢٧٦) .

(٣) انظر: تفسير الإيجي: (٤/ ٢٥٢) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: (٢٧/ ٣٢٧) .

المعنيين، فإن النار متاع للمسافرين يستضيئون بها في مناخِهم، ويصطلون بها في البرد، ويراها السائر ليلاً في القفْر فيهتدي إلى مكان النُّزُل فيأوي إليهم، ومتاع للجائعين يطبخون بها طعامهم في الحضر والسفر "[١].

القول الخامس: حمل اللفظ على ما يحتمله من معنى – مما ذُكر في الأقوال السابقة– وممن ذهب إلى هذا القول أو مال إليه: مجاهد[٢]، وغلام ثعلب[٣]، والزمخشري[٤]، والبيضاوي[٥]، والنسفي[٦]، والنيسابوري[٧]، وابن كثير[٨]، والآلوسي[٩].

دليل هذا القول: أنّ اللفظ صالح لما قيل من المعاني، ومن مزايا الكلام البليغ جمعه للمعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة .

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح قول ابن قتيبة ومن معه، بأن يحمل لفظ المقوين على المسافرين، وذلك لشهرة هذا المعنى في كلام العرب، ولأن المسافرين هم

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٧/ ٣٢٧) .

(٢) انظر: تفسير مجاهد: (ص: ٢٨٤) .

(٣) انظر: ياقوتة الصراط: (ص: ٥٠٣) .

(٤) انظر: الكشاف: (٤/ ٤٦٧) .

(٥) انظر: أنوار التنزيل: (٥/ ٢٩١) .

(٦) انظر: مدارك التنزيل: (٤/ ١٧٢) .

(٧) انظر: غرائب القرآن: (٦/ ٢٤٦) .

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم: (٧/ ٥٤٣) .

(٩) انظر: روح المعاني: (٢٧/ ١٥٠) .

أحوج من غيرهم إلى الانتفاع بالنار .

ويجاب عن بقية الأقوال: بأنّ المعاني التي ذهبوا إليها وإن كانت سائغة في لغة العرب [1]، إلا أن دلالة السياق وقرائن الحال لها اعتبارها في الترجيح والاختيار، ثم إن تخصيص المسافرين بالذكر لا يدل على عدم انتفاع غيرهم بها، ولكن انتفاع المسافرين بها أظهر وأشهر.

يقول الشنقيطي: " وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة - كون اللفظ وارداً للامتنان . وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهوماً للمقوين، لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بالعمران..." [2] .

النتيجة:

تعقب ابن قتيبة لأبي عبيدة كان في مكانه .

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور: (١٥/ ٢٠٦) .

(٢) انظر: أضواء البيان: (٧/ ٥٣٦) .

الخاتمة وأهم النتائج

إليك – بعد أن منّ الله تعالى بلطفه، وجاد بفضله – أهم النتائج، أسردها في نقاط، لتبق منك على ذِكر:

١ – كتاب أبي عُبيدة (مجاز القرآن) من أهم الكتب في إيراد الشواهد الشعرية لبيان لفظ غريب، أو أسلوب من أساليب العرب التي نزل بها القرآن .

٢ – كتاب ابن قتيبة (تفسير غريب القرآن) أبدع صاحبه في بيان غريب ألفاظ القرآن، صاحب ذلك حسن اللفظ، وإيجاز العبارة .

٣– اشتمل البحث على تسعة أمثلة صرّح ابنُ قتيبة بتعقبه ونقده لأبي عبيدة، ظهر للباحث بعد الدراسة والمقارنة، أن الصواب كان مع ابن قتيبة في سبعة مواطن منها .

٤ – ابن قتيبة كان يشير إلى قول أبي عُبيدة وإلى دليله باختصار، ثم يتعقبه بعد ذلك،ويستدل لما يراه راجحاً .

٥ – كان ابن قتيبة عف اللسان في تعقبه لأبي عُبيدة، وكان النقد متجهاً إلى القول دون قائله .

٦ – ثبت للباحث أنّ كثيراً من التهم التي رُمي بها أبو عبيدة، وابن قتيبة، هما بُراء منها .

٧– كتاب أبي عبيدة وابن قتيبة هما من اللبنات الأوَل في بيان غريب وألفاظ القرآن، وأساليبه، فالعناية بهما ألزم، والإفادة منهما أتم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،،،

فهرس المصادر والمراجع

- أبو عبيدة معمر بن المثنى ودوره في الكتابة التاريخية،رسالة ماجستير، للباحث إيهاب فوزي الحجي، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٦هـ .

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المالكي، المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .

- أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، ١٤١٥ هـ .

- الأمثال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠ هـ.

- أنوار التنزيل،للبيضاوى، دار الفكر، بيروت .

- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق:

د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت .

البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ط١،٢٠٠١م .

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله قرشى رسلان، الناشر: الدكتور: حسن عباس زكى، القاهرة، ١٤١٩ هـ .

- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري،دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ، صيدا .

- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي الشهير بالجاحظ،الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ .

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .

- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،

المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق ط٢، ١٤١٩هـ .
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م .
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للحسن المصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ .
- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د . عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت .
- تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت .
- تفسير القرآن، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ .
- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة،ومحمد بن مصطفى الكنز،الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ .
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ .

- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

- تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ .

- تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر القرشي، ضبط نصه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ .

- تفسير مقاتل بن سليمان،لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، تحقيق: أحمد فريد، الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ .

- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ .

- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ .

- الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٤، ١٤١٨ هـ .

- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، للدكتور أحمد محمد جلي،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ .

- ديوان الأخطل، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ .

- ديوان الأعشى مع شرح أبي العباس ثعلب، مطبعة آدلف، ١٩٢٧م .

- ديوان الطِّرِمَّاح، عني بتحقيقه: د.عِزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

- ديوان العجاج بن رؤبة، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق: د. عبدالحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق .

- ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ .

- ديوان النمر بن تولب، جمع وشرح وتحيقق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م .

- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٥م، ط٢ .

- ديوان امْرُىء القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ، ط ٢، ١٤٢٥ هـ .

- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف،القاهرة، ط٣ .

- ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه: وليم بن لورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت .

- ديوان كُثير عزة، جمعه وشرحه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ .

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط ١، ١٤٢٥ هـ .

- شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، لأبي منصور الجواليقي، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت .

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ .

- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ .

- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢ .

- عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، الطائف، ط١ ١٤١٢هـ .

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري،تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ .

- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني، أبي بكر العُزيري، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، ط ١، ١٤١٦هـ .

- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢ هـ .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت .

- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق: حمدو طماس،دار المعرفة، بيروت،ط١، ١٤٢٥هـ .

- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ .

- فهرسة، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .

- كتاب البلغة في أئمة اللغة، تأليف: الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به وراجعه: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

- كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان،لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى، تحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبدالموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،ط١.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،

١٤١٦هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م .
- المسائل النحوية في مجاز القرآن لأبي عبيدة ورأيه فيها، للباحث: سلام عبدالله محمود عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثاني عشر، العدد الثاني،٢٠٠٤م .
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١١هـ .
- المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢ م .
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ .
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

- معاني القرآن، للأخفش، دراسة وتحقيق: د . عبدالأمير محمد أمين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ .
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي،تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث العربي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ .
- معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ .
- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت،ط٢، ١٩٩٥م .
- مفاتح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ .
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: عدنان صفوان داوودي، دار القلم، دمشق،ط٣، ١٤٢٣هـ .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ .
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن الرازي، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ .

- المقتضب، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت .

- مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، للدكتور محمد الشيخ عليو محمد،مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

- لمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ .

- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد بن أحمد الزبيري وآخرين، إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١،١٤٢٤هـ.

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ .

- النشر في القراءات العشر، للجزري، تحقيق: على محمد الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى.

- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار

القيسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩ هـ .

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، والدار الشامية ، ط١، ١٤١٥هـ .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت .

- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر بن محمد بن عبدالواحد البغدادي، المعروف بغلام ثعلب، تحقيق: د.محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ .